الغزو الثقافي

تأليف

سماحة آية الله الشيخ الاستاذ

محمد تقي مصباح اليزدي (حفظه الله)

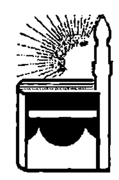
ترجمة

وليد محسن

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الغزو الثقافي



مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: .... الغزو الثقافي

تأليف: .... آية الله الشيخ محمد تقي مصباح يزدي

الناشر: .... بهمن آرا

الطبعة الأولى: .... ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

الكمية: .... ٢٠٠٠ نسخة

لبنان / بيروت / الغبيري ص.ب ٢٧٨ / ٢٥

قم/ايران/ ٥٩٨- ٣٧١٨٥

info@Omalqora.com

info@Omalqora.net

الغزو الثقافي

تأليف:

آية الله الشيخ محمد تقي مصباح يزدي

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

من خطاب الإمام الراحل قدس سره حول مواجهة الغزو الثقافي

«يا مسلمي العالم، المؤمنين بحقيقة الإسلام، انهضوا واجتمعوا تحت لواء التوحيد، وفي ظل تعاليم الإسلام السليمة، واقطعوا أيدي الخيانة للقوى الكبرى عن بلدانكم وثرواتها العظيمة، وأعيدوا مجد الإسلام وابتعدوا عن الاختلافات والأهواء النفسية، فأنتم تمتلكون كل شيء اعتمدوا على الثقافة الإسلامية الأصيلة، وواجهوا الثقافة الغربية والتغرّب واعتمدوا على أنفسكم، وجابهوا المفكّرين التابعين للغرب والشرق أوجدوا هويتكم الإسلامية الحقيقية واعلموا أنّ المفكرين الأُجَراء[1] لم يجلبوا لشعوبهم وبلادهم إلاّ البلاء والويلات، فما لم تتحدوا وتعتمدوا على تعاليم الإسلام الأصيلة، سيجري عليكم من البلاء والويلات ما قد جرى عليكم حتى الآن، فاليوم هو الزمان الذي لابدّ أن تصبح فيه الشعوب مناراً لمثقفيها، وتنقذهم من الانكسار والتخاذل أمام الغرب الشرق، فاليوم هو يوم حركة الشعوب».

---

(١) العملاء والمأجورين.

هوية الشرقيين واتساع الغزو الثقافي

لقد قيل كلام كثير حول موضوع الغزو الثقافي، وطرحت نظريات مختلفة لبيان أهمّية وحساسية ظاهرة القرن هذه، وكانت كلّ واحدة من هذه النظريات تهتم وتبحث بُعداً معيناً من أبعاد الثقافة، لهذا فإنها كانت تتفاوت فيما بينها من ناحية تعريفها للعنصر الأصيل للثقافة، ومن ناحية تقييمها لذلك العنصر.

لقد اهتم علماء المسلمين والمسؤولون المخلصون في المجتمع بالمعارف والقيم الإسلامية باعتبارها أهم عناصر الثقافة في المجتمع الإسلامي؛ لأنّها كانت عرضة لهجوم الأعداء الشديد والمستمر.

فهويتنا نحن الشرقيين، تتحدد في العالم المعاصر، في ضوء ثقافتنا الإلهية مرتبطة بالمباحث العرفانية والمعارف الإلهية، وهذا المعنى ما يصفنا به الغربيون كأحد الملامح البارزة لهويتنا. (ولو أننا لا يمكن أن نحسن الظن كثيراً بكلامهم).

نعم فاليوم، وإذا كان الغرب يُعرف بالتكنولوجيا المتقدمة فإنّ الشرق تتحدد ملامح هويته في معنويته وإنسانيته، وأخلاقه وعاطفته وفي ظل فلسفته ونظرياته لما وراء الطبيعة، فكان ذلك أقسى وأشد ما واجهه الغربيون، لذلك حشدوا الصفوف لمجابهته والقضاء عليه لعدّة قرون.

فالاستعمار الثقافي يسعى بكل قواه لقطع الجذور العقائدية في الدول الإسلامية، كمقدمة للقضاء الكامل على الفكر والرؤية التوحيدية في كلّ العالم.

وبرغم أنّ مسألة الغزو الثقافي كانت مطروحة في بلدنا منذُ مدة طويلة، إلاّ أنها قد وجدت أبعاداً جديدة بعد انتصار الثورة الإسلامية، وبعد تغلغل الثقافة ذات النكهة الإسلامية في جميع المحافل الدولية، لهذا فقد سعى الاستكبار العالمي بتخصيص رؤوس أموال كبيرة لمواجهة وإيقاف مسيرة الثورة وتغلغل الثقافة الإسلامية في المجتمعات المختلفة، فلم يكتفِ بمواجهة تصدير الثورة الإسلامية إلى الدول الأُخرى فحسب، بل عمل ما باستطاعته لترويج ثقافته المادية المبتذلة، بشكل واسع إلى الدول الإسلامية، فهذا هو الغزو الثقافي الذي نتحدث عنه اليوم. لمّا كان لكل ظاهرة خصائصها ومميزاتها، وأن فهمها الصحيح يرتبط بشكل أساسي بتحديد تلك الخصائص والمميزات، لذلك لابد لنا أن نعرف ونحدد عناصر وأبعاد الغزو الثقافي، ونقوم بتحليلها بدقة قبل البدء في بحث ذلك الغزو.

من البديهي أنه لمواجهة هجوم العدو لابد من التعرف والإحاطة بأبعاد ذلك الهجوم، فعلينا أن نتعرف على ماهية العدو وحقيقته وطبيعته وكذلك دوافعه وأهدافه، وبعد ذلك يجب معرفة زمان وجهة الهجوم وعوامله الداخلية ولابد أن نعلم أيضاً الوسائل والتجهيزات والطرق والخطط التي سيستخدمها العدو في ذلك الهجوم، ثم نقوم بعد ذلك بتحليل وتقييم دقيق لقواتنا ولقدراتنا

وكيفية مواجهة هجوم العدو، بدقة متناهية. عندئذ يمكننا أن نتأمّل تحقيق النصر على هذا العدو وأن لا نقع في شراك مكرِه وحيَلِه، لا لشيء إلاّ لأننا قد أحطنا بكل جوانب المواجهة.

الآن ولكي نبدأ ببحث الغزو الثقافي لابدّ أولاً أن نوضّح مفهوم «الثقافة» ومعنى «الغزو»، ثم نقوم بعد ذلك بالتحري عن وجود مثل هذا الغزو لمجتمعنا الإسلامي المعاصر، أو عدم وجوده، ونتعرف على الاتجاهات والمجموعات المهاجمة، وزمان وهدف ووسائل طرق ذلك الغزو.

ولابد أيضاً في هذا البحث أن نحلل العلاقة بين الثقافة والتكنولوجيا ونبيّن أنه هل يمكن مواجهة الغزو الثقافي مع الأخذ بالاعتبار شرائط ومقتضيات هذا الزمان؟ وتوضيح الفارق بين نشر الثقافة والغزو الثقافي وهل أن نشر الثقافة في جميع الأحوال يكون أمراً غير مرغوب فيه؟

لابد قبل الدخول في أصل الموضوع، يجب أن نوضح بشكل مختصر بعض هذه الفرضيات، ونحدد بشكل دقيق إطار البحث. وسيأتي البحث التفصيلي لكل واحدة من هذه الفرضيات في محله المناسب.

إنّ مفهوم كلمة «الثقافة» من المفاهيم المعقدة جداً، وبرغم التعاريف الكثيرة التي ذكرت حولها، لم يذكر لحد الآن تعريف واضح وجامع لها مع ذلك فإنّ ما نقصده في بحث «الغزو الثقافي» هو عبارة عن مجموعة الأُصول الفكرية القيّمة التي تؤثر على السلوك الإرادي والاجتماعي للإنسان، وهذه

المجموعة تتكون من عناصر متعددة سنتناولها بالشرح والتحليل في محلها المناسب.

إنّ كلمة «الغزو» من الكلمات التي لها ـ من الناحية اللغوية ـ معنى المشاركة بين طرفين، لكنه ليس المعنى المقصود، بل حتى معنى «الغزو» حتى في الاستعمالات العرفية الرائجة، تستعمل بمعنى الهجوم من طرف واحد.

فإذا لم يكن هجوماً من طرف واحد، فإنّ أُولئك الذين يرون أنّ اصطلاح «الغزو الثقافي» إنما هو لفظ بدون مصداق، ويتصورون الأحداث الراهنة أنها نوع من النشر والتبادل الثقافي، تكون عقيدتهم أكثر ملائمة مع معنى «الغزو» بأنه المشاركة بين طرفين، في حين أننا نشاهد بوضوح أنّ الثقافة الغازية أنّما هي ثقافة متسلطة تخطط وتسعى بأهدافها الخاصة إلى بسط سيطرتها على العالم وكما يقول حملة لوائها ومفكروها إنها تريد تبديل العالم على أساس الأُصول والقيم الإنسانية[١] إلى ما يسمى «القرية العالمية المتحدة». لهذا فإنّ معنى الغزو مرادف لمعنى المباغتة والإجبار، أمّا إنّ السبب في كون هذه الكلمة تحمل معنى سلبياً في عرفنا فهو لأنّ العدو يريد بهذا الغزو أن يقتلع العقائد والقيم السامية من المجتمع ويفرض بدلاً عنها العقائد الخاطئة والقيم السلبية.

---

(١) فلسفة إحياء الروح الفردية والنقدية والتأكيد على الهموم الدنيوية (كما تجلى في عصر النهضة الأوربية) humanism. (المترجم).

أما في ما يتعلق بالعلاقة بين الثقافة والتكنولوجيا ـ كما أشرنا إلى ذلك في المقدمة ـ فإنه وبرغم التأثير الكبير للتطور التكنولوجي في تفوق السلطة الثقافية للأجانب حتى الآن، إلاّ أنه كان يمكن الاستفادة من ذلك ذاتياً دون أن تحصل أي تبعية ثقافية لأُولئك الأجانب؛ لهذا وبرغم تصور بعض المسؤولين في الأُمور الثقافية، فإنهم قد وقعوا في المغالطات اللفظية بالنسبة إلى تعريف الثقافة وتقييمها، وعلى كل حال، فقد وقعوا في فخ الحيل الشيطانية للعدو.

إنّ قصدنا من مجابهة الغزو الثقافي، ليس بمعنى نفي أي نوع من التجدد ولا رفض الوسائل الثقافية الحديثة، ولا يعني رفض تحديث أي نوع من الآداب والسنن القديمة، بل قصدنا وهدفنا الأصلي من المجابهة ـ حسب تقييمنا للثقافة ـ هو حفظ وتحكيم العقائد والقيم الإسلامية السامية التي تمثل أُسس وأركان ثقافة مجتمعنا، وهذا ما سعى أعداؤنا إلى هدمه وتخريبه بالاستفادة من كافة استثماراتهم وقدراتهم وحيلهم.

وفي مثل هذه الظروف، وحيث إنّ التكنولوجيا ـ خاصة في مجال ارتباطات الأقمار الصناعية ـ قد سرّعت من الهجمات القوية للاستكبار وهي تبحث طريقها كالمجنون لتحقيق أهداف العدو، فإنه يجب على كل فرد من أفراد الأُمّة الإسلامية وبعنوان وظيفة إلهية، أن ينهض بتعبئة عامة لإحباط المؤامرة العالمية للمستكبرين ضد الإسلام ومصالح المسلمين.

نحصل مما مضى على جواب السؤال الأخير حول الفارق بين نشر الثقافة

وتحميلها، فإنّ من الواضح أنّ الغرب يقصد من سعيه في توسيع الشبكات الخبرية والاتصالات، هو نقل سلائقه ومقاييسه ونماذج سلوكه الأخلاقي في قالب الأفلام والبرامج التلفزيونية الراقصة وغيرها من البرامج المسلية المبتذلة إلى كافة أنحاء الكرة الأرضية وعلى جميع البشرية، ولا يتحقق هذا ما لم يكن تحت غطائه أهداف شيطانية انتهازية خفية، في حين أن نشر الثقافة السليمة يحصل ـ بما لها من الحقيقة ـ بأهداف إلهية بعيداً عن أي نوع من الدسائس والحيل؛ لهذا لا يعتبر نشر أي ثقافة أمراً غير مرغوب فيه، أما سبب مخالفتنا لثقافة الغرب المهاجمة فهو لآثارها الشيطانية البعيدة عن الأهداف المعنوية بحيث أصبحت هذه الآثار الصفة السلبية البارزة فيها.

وبغض النظر عما ذُكر، فإنّ الغرب وباعتراف مؤرخيه وعلمائه كان تحت تأثير الثقافة الإسلامية العظيمة لقرون عديدة، وما زالت آثارها باقية لحدّ الآن، وحتى في حضارته الحديثة كان مديناً لسطوع القوى الخارقة للمسلمين في كثير من العلوم والفنون، فالثقافة الإسلامية الشرقية قد انتقلت إلى أوربا بسبب الحروب الصليبية التي كانت ـ وبرغم الخسائر التي تعرض لها الطرفان ـ سبباً لاتصال الأوربيين بالمسلمين.

يقول غوستاف لوبون في كتابه «حاضرة الإسلام والعرب»: «كانت مدارس أوربا تعتمد على كتب ومصنفات المسلمين لمدة خمسمئة سنة فكان المسلمون هم الذين ربّوا أوربا من ناحية العلم والعمل والأخلاق...».

وقد أشاد حتى علماء الغرب المنصفون بتصدير الثقافة الإسلامية إلى المجتمعات الأوربية؛ لهذا فإنّ الشخص الذي يُطلق اليوم اسم الغزو على تصدير الثقافة الإسلامية إلى الدول الأُخرى، ويحاول أن يبرر بهذه الطريقة الغزو والسيطرة الثقافية للأعداء، ويريد إطفاء غضب المسلمين الغيارى على أساليب الأعداء الاستكبارية، لا يميز ـ بلا شك ـ حتى بين الصحيح والسقيم.

لقد أشرنا حتى الآن في هذه المقدمة إلى نكات حول تعريف الثقافة والغزو وإثبات وجود الغزو الثقافي ودوافعه وأهدافه، بالإضافة إلى مسائل أُخرى.

وإننا نعتقد أنه توجد في المجتمع الإسلامي الحقيقي مجموعة من المعارف والعقائد والقيم الأخلاقية والاجتماعية المقبولة من الإسلام وتكون لهذه المجموعة طريقتها السلوكية المنسجمة الخاصة بها، بحيث تتشكل الثقافة الإسلامية من هذه المعارف والقيم بالإضافة إلى الأساليب المنسجمة بشكل كامل والناشئة من تلك المعارف والقيم.

وإذا قلنا: إنّ هذا الأمر إنّما يتعلق بالمجتمع الإسلامي الحقيقي، لهذا فإنّ ثقافة بعض المجتمعات الإسلامية التي لا تمتلك ذلك التنسيق والانسجام السلوكي، إنّما يكون بسبب تغلغل عناصر الثقافة الأجنبية فيها والذي يؤدّي إلى تلويث الثقافة الإسلامية لهذه المجتمعات، وبالتالي تصبح عبارة عن ثقافة لقيطة فهذه الازدواجية لا تتلاءم أبداً مع وحدة الإسلام وانسجام الثقافة الإسلامية.

ولمّا كانت معرفة ثقافة وفلسفة الغرب تمثل الشرط الأوّل لمواجهة الغزو الثقافي الغربي، لذلك لابد لنا أن نوضح الدور المخرب للثقافة والفلسفة الغربية وجذورها التاريخية، حتى نتمكن من بيان هذا البحث بشكل أدق.

فلسفة الغرب ودورها المخرّب في ثقافة المجتمعات الإسلامية

المقدمة

قبل البدء بهذا البحث، نذكر هنا مقدمة مختصرة:

إنّ الآثار السلبية الموجودة في ثقافتنا الإسلامية المعاصرة، إنما نتجت بسبب الآثار الشيطانية للثقافة الغربية البعيدة عن الروح المعنوية والمناهضة للإسلام، إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّ هذا الفساد والانحراف يرتبط بالطبيعة الجغرافية لمغرب الأرض، وأنّ له حالة الشمولية لكل شخص يعيش هناك وفي كلّ الفترات التاريخية، لكننا نعبّر اليوم عن هذا الفساد والانحراف الموجود في بلدنا، بالثقافة الغربية؛ لأننا نرى أنّ ذلك أنّما ظهر بسبب تغلغل الثقافة الاستعمارية الغربية في ثقافة البلاد، وإلاّ فقد ظهر في الغرب مجموعة مخالفة لتلك الثقافة الفاسدة في الماضي والحاضر.

إنّ الفلسفة التي ندينها اليوم وكذلك الثقافة التي تقوم على هذه الفلسفة لها أُصول مادية، مع أنها لا تعلن ولا تصرح بذلك، فالاتجاه المادي هو الصبغة البارزة للثقافة والفلسفة المسيطرة على الدول الغربية وحتى على المسيحيين الظاهريين الذي يلتزمون بزيارة الكنسية يوم الأحد باستمرار، إذن فمن حقنا أن نتساءل اليوم: متى وجدت هذه الثقافة، وما هي المدارس التي ظهرت عنها، وما هي الآثار المترتبة على مثل هذا النوع من التفكّر؟

وهذا البحث يحتاج إلى تحليل تاريخي خاص.

المعروف أنّ هذه الرؤية والتفكّر إنّما ظهرت منذ عصر النهضة[1] الأوربية والنهضة تعني مرحلة التجدد التي حصلت بعد القرون الوسطى التي مارس فيها أصحاب الكنيسة سلوكاً متعصباً خشناً مع العلماء وأصحاب الاكتشافات والاختراعات العلمية.

لهذا وبسبب هذا السلوك المتعصب للكنيسة، ظهرت في هذه الفترة موجة عامة من التنفّر والكراهية بين الأوربيين والمسيحيين بالنسبة إلى الكنيسة، ونتيجة لذلك فكّر الأُدباء والعلماء والمفكرون الغربيون أن يعزلوا أنفسهم عن طقوس الكنيسة التي كانت حسب تصورهم سبباً للتأخر الفكري، ويحاولوا العودة إلى حضارة اليونان القديمة التي تمثل مرحلة ازدهار الحضارة الغربية. فإذن، النهضة ليست فلسفة خاصّة، وإنّما هي نوع من التفكير الذي يقوم على أساس العودة إلى عصر ما قبل سيطرة الكنيسة ـ القرون الوسطى ـ أي إلى عصر الحضارة الغربية القديمة.

في هذه الفترة ـ عصر النهضة ـ بدأت الآداب تتجه نحو المفاهيم البعيدة عن الدين، وتتخذ طابعاً غير إلهي، فعادت الآثار الأدبية والفنية أعم من الكتب والنقد والنحت وأمثالها إلى الآداب والفنون اليونانية القديمة وأخذت التماثيل التي تُنحت في أوربا تتجه نحو العراء الكامل، فقد كانت التماثيل تُنحت بشكل

(١) Renaissance: النهضة الأوربية، هي حركة انتقالية ظهرت في أوروبا بين القرون الوسطى والعصر الحديث (المترجم)

عار أو شبه عار، حتى تلك التي تتعلق بالسيدة مريم عليها السلام كانت تظهر مكشوفة الرأس، خلافاً لما كان متعارفاً في السابق وبذلك أدّى الميل نحو اللامبالاة والتحرر من قيود الكنيسة إلى إيجاد نوع من التشاؤم بين الغربيين بالنسبة إلى الدين والتعاليم الدينية.

بالإضافة إلى ذلك، فقد تعرف المسيحيون على الحضارة الإسلامية خاصة في القرنين أو الثلاثة قرون الأخيرة بعد الحروب الصليبية، ونتيجة لاستفادتهم من كتب العلماء والفلاسفة الإسلاميين، ازدهرت الثقافة الغربية، وظهرت بوادر هذا الازدهار في أسبانيا ثم فرنسا، عندئذ وبسبب الإنجازات العلمية والصناعية وروح الكراهية التي ظهرت عند الناس بالنسبة للمسيحية والمذهب، ظهر تدريجياً الميل نحو تحديد دائرة المذهب بالأُمور غير المرتبطة بالحياة المادية للناس، فالغربيون لم يستطيعوا ترك المذهب بشكل كامل؛ لأنّه ميل فطري وأحد الاحتياجات النفسية للإنسان، لكنّهم من جهة أُخرى كانوا يرون أنّ المذهب الذي كان حاكماً على المجتمع في القرون الوسطى يتعارض مع حياتهم المادية، وأن تعاليم الكنيسة التي كانت تطرحها باسم المذهب تخالف العلم والتطوّر، لهذا قرروا تحديد المذهب بالأُمور التي لا تتعلق بحياة الناس المادية، فالناس يمكنهم الذهاب إلى الكنيسة للدعاء والتضرع إلى ربهم ويستغفرون من ذنوبهم وتقديم الهدايا للفقراء أو الراهب، لكن لا يتدخل المذهب والدين بأيّ دور في حياتهم المادية.

هذا هو محور الفكر والثقافة الغربية الجديدة، وهو أيضاً الاتجاه الفكري للمعتقدين بالدين والمسيحية والله والمعنوية، فهم يعتقدون بأنّ الدين يتحدّد فقط في الكنيسة، وليس له أي ارتباط بالحياة المادية للناس ومن هنا ظهرت مسألة فصل الدين عن السياسة التي انتشرت بشكل واسع في الدول الإسلامية والشرقية بسبب التبليغات والدعاية الواسعة للمستعمرين، فقد استطاع المفكّرون الإيرانيون التابعون للغرب ـ وبسبب تأثير هذه السياسة ـ من طرح هذه المسألة باستمرار، وَوُفقوا إلى حد ما في أن يُجلسوا «البهلوي» على كرسي الحكم ويفصلوا من الناحية العملية الدين عن السياسية.

فنحن نُدين الثقافة والفلسفة الغربية، لا لأننا شرقيون وهم غربيون، ولا لكي نحافظ على هويتنا الشرقية ومخالفة الغرب، ولا لكون كل ما يصل من الغرب ملوث وخاطئ، بل نحن ندين هذه الثقافة بسبب الصبغة المادية فيها حتى في مجال الدين والمذهب.

إنّ مسألة فصل الدين عن السياسة وسنّ القوانين تعتبر من أبرز مظاهر الفكر الغربي، فالغربيون يعتقدون بضرورة فصل الدين عن مسرح تشريع القوانين في المجالات الاجتماعية، ويعتقدون أنّ ذلك هو حق الشعب وليس حق الله، وأنّ تنفيذ هذه القوانين إنّما يكون بيد الشعب أو ممثليهم المنتخبين من قبلهم. وتتسع دائرة هذا التصور لتشمل مسائل أُخرى، فمثلاً يعتقدون بفصل الأخلاق عن الدين، وأنه لا يلزم أن تكون الأخلاق مطابقة لتعاليم الدين، بل لها

حسابها وتقييمها الخاص، فباعتقادهم أن بعض الأفراد لو قبلوا مجموعة من المفاهيم الأخلاقية وكانت لها قيمتها الخاصة عندهم، فذلك لا يرتبط بالدين لأنه يمكن أن يكون الشخص غير متدين، لكنه يلتزم ويحترم بشكل كامل بالأُصول الأخلاقية.

إذن ما نقصده من فلسفة الغرب، ليس أنها فلسفة تنسب إلى منطقة جغرافية خاصّة، بل كل الأفكار المادية المخالفة لأُصول وأُسس الفكر الإسلامي، ونحن ندين هذه الثقافة والتفكير حتى إذا طرحت تحت غطاء الدين أو فصل الدين عن السياسة، وعزل الإنسان عن الأحكام والقوانين الإلهية.

نحن لا نخالف ثقافة الغرب، لأننا شرقيون ونريد المحافظة على هويتنا الشرقية، ولا لأنها تختلف من الناحية الجغرافية عن ثقافتنا، ولا لأنها تمتلك آداباً وتقاليد خاصة تتعارض مع ثقافتنا في الحياة اليومية، ولا لأنّ كلّ ما في الغرب فاسد ونجس، حيث لم تكن تلك الصفات موجودة في الثقافة الغربية على نحو الشمولية والعموم، في جميع الفترات التاريخية.

إنّ هذا كلّه لم يكن سبباً لمخالفتنا للثقافة الغربية، إنّما السبب الأساسي لهذه المخالفة كان يكمن في الأبعاد والآثار المفسدة للثقافة الغربية التي أدّت إلى الانحطاط الأخلاقي والسقوط الإنساني في بلادنا أيضاً. لهذا جَنّد المسلمون الواعون الثوريون في بلادنا جهودهم لمواجهة ما يسمى «الثقافة الغربية» وآثارها الفاسدة التي انتشرت في الثقافة الإسلامية للبلاد بسبب تغلغل هذه الثقافة

الاستعمارية للغرب. وقد ظهر هذا النوع من المخالفة للثقافة الغربية حتى في دول الغرب نفسها، وكان يوجد دائماً وعلى مرّ التاريخ أناس ومفكّرون يخالفون بشدة مثل هذه الثقافة.

الجذور التاريخية لثقافة الغرب وفلسفتهم الجديدة

إنّ الثقافة الغربية تقوم على أساس فلسفة مادية، وهذه هي الحقيقة التي حاول الغرب دائماً عدم الإفصاح عنها، لكن هذه النزعة المادية للثقافة الغربية واضحة حتى عند المسيحيين الذين لا يتركون الكنيسة أيام الأحد.

وهنا تطرح هذا الأسئلة: متى وكيف ظهرت هذه النزعة المادية في ثقافة الأكثرية المسيحية للمجتمع؟ وما هي المدارس الفكرية التي أوجدتها؟ وما هي الآثار التي خلفتها على المجتمعات البشرية؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تستلزم تحليلاً تاريخياً:

إنّ الحوادث التي خلقتها الكنيسة الكاثوليكية في أواخر القرون الوسطى ـ وكما هو مشهور ـ تعتبر إحدى الحقائق المهمّة التي سجّلها التاريخ، وإنّ النهضة الأوربية ـ التي هي منشأ لنزعة وفكر وثقافة جديدة ـ كانت وليدة لهذه الحوادث ولظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية أُخرى مرّت بها أوربا في تلك الفترة؛ لأنّ تلك الظروف الحاكمة على المجتمع كانت تمنع بشدة وقساوة من انتشار النظريات والاختراعات العلمية المخالفة لنظر ورأي الكنيسة المسيحية.

نقرأ في تاريخ الكنيسة التالي:

أعلن (كبرينك) البولندي بصراحة في سنة ١٥٤٣ للميلاد أنّ الأرض التي هي مركز استقرار الكواكب الأُخرى كما هو معروف سابقاً ـ تدور حول

الشمس بالإضافة إلى دورانها حول نفسها، وهـذا يخـالف مـا جـاء فـي التـوراة والهيئة القديمة مـن أنّ الـشمس هـي الوحيـدة التـي تـدور حـول الأرض، وأن الشمس قد توقفت عن الحركة بأمر «جزوئة» حتى يستطيع تحقيق النصر.

فهل يمكن أن يشتبه أو يخطأ الكتاب المقدس؟

كان كبرينك في حياته يتجنب الإجابة عن هذا النوع مـن الأسـئلة، إلاّ أنـه وبعد مضي خمس وعشرين سنة من موته، يكتب «بير روسو»:

لقد تعالت صرخات الاعتراض فجـأة مـن كـلّ جانـب، فكانـت أصـوات مؤيدي بطليمـوس تطالـب بـاللعن والكراهيـة، خلافـاً لهتافـات التأييـد والرضـا لمؤيدي كبرينك، حتى إنّ «جوردانو برنو» ـ الذي كان صديقاً لغاليلو أيضاً ـ قد أُحرق فـي شـعلة عظيمـة مـن النـار، بعـد ثمـاني سـنوات قـضاها فـي الـسجون والتعذيب بتهمة الشعوذة والدفاع عن نظرية كبرينك.

وحسب نظرية علم النجوم القديم أن كل نجم يشبه صحناً ملتصقاً بـسقف السماء البلوري، وأنّ كل شيء في حالة حركة حول الأرض الثابتـة فـي مركـز العالم. فاستنتجت الكنيسة من هذه النظرية أنّ قصر البابا هو مركز الأرض، والبابا الأعظم حارس أهل الأرض، فلابد أن تكون الأرض ثابتة في مركز العالم حتى يكون عرش البابا ثابتـاً فـي مركـز الأرض. وعندئـذ أصـبحت الـسيطرة الثقافيـة والقيادة الاجتماعية وتحديد مسيرة المجتمع، إجباراً بيد الكنيسة، فكان هذا سبباً لحصول فاجعة عظيمة للكنيسة».

لقد أوجد السلوك الخشن والمتعصب لأصحاب الكنيسة والعلماء انزعاجاً شديداً بين عامة الناس والمسيحيين الغربيين بالنسبة إلى الكنيسة وطقوسها لذلك قرّر العلماء العودة إلى عصر ازدهار الحضارة الغربية القديمة ـ يعني عصر حضارة اليونان ـ وأن يعزلوا أنفسهم عن طقوس المسيحية التي كانت السبب الأصلي للتخلّف والانحطاط الفكري للمجتمع.

لقد كانت هذه الاعتراضات تأخذ طابع المواجهة مع ما كانت تقوم به الكنيسة من خداع الناس والتبليغات الخرافية، ثم تحولت تدريجياً إلى نوع من الأفكار التي لا تعبأ بالدين والمذهب، فأدّى ذلك إلى النفي الكامل للتدين وهكذا اجتاحت النزعة المادية والفكر الإلحادي الأسس الفكرية والثقافية للمجتمع، فتشوهت ماهية العلم والفلسفة وبدأت تسير نحو هدم القيم وإشباع الغرائز الحيوانية.

إذن فلسفة النهضة الأوربية ليست فلسفة خاصة، بل مجموعة من الأفكار التي تقوم على أساس العودة إلى حضارة الغرب القديمة التي كانت موجودة في فترة ما قبل القرون الوسطى، أي ما قبل سيطرة الكنيسة على أوربا، وهذا يعني في الواقع العودة إلى الفلسفتين «المادية القديمة» و«الأبيقورية»[١].

بدأت الآداب والفنون الغربية بعد عصر النهضة تتجه نحو المفاهيم البعيدة

---

(١) Epicusim: الانغماس في الملذات الحسّية. (المترجم)

عن الدين، فأخذت جميع الآثار الأدبية والفنية ـ أعم من الكتب ولوحات الرسم والتماثيل ـ ملامح وصفات فن وآداب حضارة اليونان القديمة، فكانت التماثيل في تلك الفترة تنحت عارية، كما أنّ أغلب صور النساء كانت ترسم شبه عارية ويمكنك عند زيارة المتاحف الكبرى في أوربا ملاحظة التفاوت الكبير في الحجاب «من جهة الغطاء» بين الصورة التي رُسمت للسيدة مريم عليها السلام بعد عصر النهضة وتلك التي رُسمت لها في العصور السابقة.

لقد بلغ التحرر من قيود الكنيسة والميل نحو اللامبالاة والفساد الأخلاقي الحدّ الذي دفع «راسل» في حوالي السبعين من عمره باعتباره أحد الفلاسفة إلى القول بأنه: لا يلزم أن تكون المرأة تحت اختيار رجل واحد، فما العيب في أن يجعل الإنسان زوجته تحت اختيار رجل آخر إذا رأى ذلك ضرورياً؟

والأعجب منه قول «فرويد»: الذي يعتقد أنّ الطفل يَمُصّ ثدي أُمّه بداعي الغريزة الجنسية.

ويقول «نيتشه»: إنّ الإنسان قد خلق في الأصل للتغلب على الضعفاء وأنّ ما يظهر عنده من صفات مثل الرأفة والرحمة والإيثار أنما تكون بسبب الضعف الذي يصيب الإنسان، فعندما يصبح الفرد ضعيفاً يظهر عنده الميل نحو العاطفة.

لقد ظهرت بعد عصر النهضة الكثير من المدارس الفكرية التي تقوم على أساس الشعارات والكلمات القاصرة للفكر الجديد، ومن جهة أُخرى كانت التعاليم التي طرحتها الكنيسة باسم المذهب مخالفة للعلم وتتعارض مع الحياة

المادية للإنسان، فلم تكن تستطيع تلبية الاحتياجات الكبيرة للمجتمع المضطرب في تلك الفترة، مما دفع المفكرين والعلماء إلى تحديد دائرة المذهب بالأُمور التي ليس لها علاقة بالحياة المادية للناس نعم يمكن للجميع أن يذهبوا إلى الكنيسة، يتضرعون ويدعون ربهم ويستغفرون من ذنوبهم يقدمون الهدايا ويساعدون الفقراء و... .

فاليوم يشعر المفكرون والناشطون في القضايا الاجتماعية في الغرب بحاجة الناس الفطرية للدين ودوره الكبير في الحدّ من الجنايات والجرائم، ولذلك فهم لا يريدون حذف الدين من المجتمع الغربي بشكل كامل، لكنّهم يرون من جهة أُخرى أنّ المسيحية الموجودة الآن في أوربا عاجزة عن تلبية حاجات المجتمع المتزايدة مع تقدم الزمان ولهذا السبب ظهر عندهم الاعتقاد بأنّ نطاق الدين يتحدّد فقط بالصوامع والكنائس وأنّ دائرة العلم والسياسة وسائر الأُمور الاجتماعية خارجة عن حكومة المذهب والدين.

هذا هو محور الفكر والثقافة الغربية الجديدة، وكان من نتائجه فكرة فصل الدين عن السياسة التي ظهرت أوّلاً في عصر النهضة، ثم انتشرت بعد ذلك في الدول الإسلامية والشرقية بفعل الدعاية الواسعة للمستعمرين الغربيين، فكانت أحد الآثار السلبية للاتجاه المادي في الثقافة الغربية وكانت كالوباء في بلاد المسلمين، ولعبت دوراً مضاداً لاستقلالها وتطوّرها الاقتصادي والثقافي.

لقد طرحت مسألة فصل الدين عن السياسية في إيران في عهد المشروطة،

وبخاصة في عهد الحكومة البهلوية، بواسطة المفكرين التابعين للغرب، وقد استطاعت هذه المسألة أن تحقق نتائج مؤثرة، بحيث إنها أثّرت حتى على الأشخاص الذي يقبلون الدين ولا يعارضونه، فأصبحوا يرون أنّ الدين يجب أن يكون بمعزل عن السياسة والحياة الاجتماعية للناس، ويعتقدون أنّ تشريع وتنفيذ القوانين أنما هو وظيفة الناس أو ممثليهم المنتخبين من قبلهم، وليست وظيفة الله. فلقد سعى أولئك المفكرون إلى أن يفصلوا حتى الأخلاق عن الدين، وأن يضعوا لها تقييماً خاصةً، ويجعلوا ما يسمى بالأخلاق الاجتماعية مقابل الأخلاق الإسلامية مقلدين بذلك النماذج الغربية وصرّحوا أنه لو قبل مجموعة من الأفراد سلسلة من المفاهيم الأخلاقية التي لها قيمة واعتبار خاص عندهم، فهذا الأمر لا يرتبط بالدين والمذهب؛ لأنّه يمكن أن نجد شخصاً غير متدين لكنه يلتزم ويحترم الأُصول الأخلاقية!

والآن لا بأس في التطرق لكلام السيد إحسان التراقي في هذا المجال حيث قال: إنّ فكر الماسونيين يقوم على أساس (المذهب العقلي)[1] والذي يعني التفكير المنطقي والعقلائي والاعتقاد (بالعالم الوطني) من جهة وفصل الدين عن السياسة والأُمور الاجتماعية، والوصول إلى نوع من (الفردانية)[2] من

---

(١) Rationalisum : المذهب العقلي: والذي يعني أنّ العقل غير مُسعَف بالوحي الإلهي وهو الهادي الأوحد للحقيقة الدينية. (المترجم)

(٢) Individualism: الفردانية: مذهب يقول: إنّ مصالح الفرد العامة يجب أن تكون من ☜

جهة أُخرى.

وهذه الأفكار لا تخلو من الصلة بالثورة الفرنسية، وكانت تُشكل أيضاً الأرضية والأساس الفكري لبعض أنصار المشروطة، فقد مال وتأثر الكثير من الأفراد ـ مع علوّ شأنهم وضمائرهم الحية وحبّهم للوطن على حسب زعمهم ـ بهذه الأفكار، حتى إنّهم كانوا يرون أنّ الحل النهائي لمشاكل المجتمع أنّما يكمن في تطبيق تلك الأفكار، وقد أُطلِقَ فيما بعد على هؤلاء الأفراد اسم المجددين ونيّري الأفكار، وكان معظمهم من أنصار المشروطة، حيث كانت الصحف في تلك الفترة تطلق اصطلاح "مجدّد أو أصحاب الفكر النيّر" فقط على الأفراد الذين يؤمنون بالأفكار الماسونية؛ لأنّ فهم أفكار الماسونية واتّباعها كان يعد في ذلك الوقت من أُصول الدعوة إلى الحرية بالمعنى الأخص، وقد كان مفهوم (الفردية والحرية الفردية) الذي ظهر في عصر الثورة الفرنسية الكبرى مصدر الأمل في الدول المجاورة لفرنسا، ثم بدأ ينتشر تدريجياً في كل أنحاء العالم وخاصة في الدول الحية المنتظرة للحياة الحرّة الكريمة.

هذه هي المدارس التي تأست بعد عصر النهضة والتي لها أهدافها الخاصة القائمة على أساس النزعة المادية، وكما نعلم فقد سعى الاستعمار الغربي وخاصة الإنجليزي إلى نشر الأفكار الماسونية في الدول الإسلامية وخاصة في

الناحية الأخلاقية فوق كل اعتبار (المترجم).

إيران؛ لتدمير الثقافة ومسخ القيم الإسلامية في هذه الدول بعد أن أدرك هذا الاستعمار أنّ الثقافة والقيم الإسلامية هي أهمّ العقبات التي تواجهه وتمنعه من السيطرة على ثروات تلك الدول ونهبها.

وقد قام الاستعمار الغربي أيضاً بنشر أفكار الماسونية في كل أنحاء العالم، مثل آسيا وأفريقيا حتى يتمكن من السيطرة على الثروات والذخائر العالمية ونهب المنابع غير المستخدمة للدول الإسلامية.

على كلّ حال فقد سرى السم الذي ترشّح من أوربا عصر النهضة إلى كل أنحاء العالم، مما أدى إلى تسمم ثقافة المجتمعات البشرية بحيث يمكننا القول بجرأة إنه لم يَسلَم من التأثير المدمّر لهذا السم أي من الدول الآسيوية والأفريقية.

لقد كانت هذه المشاكل جزءاً من النتائج المؤسفة للنزعة المادية في الثقافة الغربية. لهذا فنحن إنّما ندين هذا الاتجاه المادي المضاد للدين والروحية المعنوية، الذي أصبح السمة المميزة للفكر والفلسفة الغربية حتى ولو طرحت هذه الفلسفة تحت غطاء الشعارات البرّاقة، مثل فصل الدين عن السياسة، أو رفع المستوى الاقتصادي والرفاه الاجتماعي.

نزعة حب التفوق عند الغرب

عندما استعرضنا نظريات بعض المفكرين الغربيين، نقلنا كلام (نيتشه) الذي كان يعتقد أنّ خصلة حبّ التسلط توجد في ذات الإنسان، وأنه إنّما خلق للتغلب على الضعفاء.

لا شك أنه يوجد دائماً أفراد لا يحترمون أبداً حقوق الناس، ولا يقرّون بأي حق للآخرين، حتى إنهم يتوسلون بكل أنواع الكذب والمكر لسحق القيم الإسلامية تحت أقدامهم، وكل هذا أنما يكون بسبب وجود خصلة حبّ التفوق والتسلط على الآخرين.

فهم ـ ولأجل تحقيق أهدافهم ـ يقومون كذباً بإطلاق شعارات الحرية والديمقراطية والصلح تحت غطاء حقوق الإنسان، لذا يجب أن نكون واعين ولا ننخدع بهذه الشعارات؛ لأنها نتيجة الروح الاستكبارية عندهم التي لا تعترف بأي حدٍّ، ولا تحترم أي قانون حتى لو كانت هي التي وضعته!.

فهؤلاء الناس وبسبب وجود خصلة حبّ التسلط والتفوق عندهم، لا يهدؤون ولا يرتاح بالهم عندما يشعرون بوجود أناس آخرين مقتدرين شرفاء قريبين منهم، لكنهم سيطلقون قهقهاتهم الثملة فرحاً عندما يصبح جميع الأقوياء أُسراء بين مخالبهم ولا يستطيعون المقاومة أمامهم، ولهذا فنحن نحارب مثل هذا الخلق وهذه الخصال الاستكبارية، ونعتقد عدم إمكان تأمين الحقوق

الإنسانية في المجتمع بتطبيق قانون الغابة، بل لابد أن تحكم القوانين والمقررات الإنسانية على البشرية جمعاء؛ حتى يحصل جميع الناس على حقوقهم المشروعة.

لكن ـ وللأسف الشديد ـ قام مجموعة من الكتّاب أو ما يسمون بالمفكرين الغربيين بوضع أُسس وطريقة التجاوز والسيطرة، فهم لم يقرّوا بنظرياتهم جرائم المستعمرين فحسب، بل قاموا بتشجيعهم وحمايتهم على ارتكاب الجرائم الكثيرة ضد المظلومين في العالم.

فلو قرأنا بدقة تاريخ الغرب خاصة بعد عصر النهضة نجد أنّ الثقافة الغربية كانت تتميز بأنها تعطي الأصالة للقدرة والقوة في تطبيق الأفكار والقوانين في المجتمع، وترسّخت للأسف الشديد هذه الصفة في روح وفكر هذه الثقافة بحيث سادَ هذا النوع من الفكر القائم على أساس القوة والتسلط واستغلال العاملين في كلّ أنحاء العالم الغربي، وما الآثار المدمرة التي نلاحظها اليوم في نشاطات وأعمال المستكبرين إلاّ نتيجة لذلك الفكر الناشئ من الرؤية المادية للثقافة الغربية.

من جهة أُخرى، فكر الغربيون بتحريف التاريخ لأجل إثبات تفوقهم على الشعوب الأُخرى، فسعوا إلى جعل أوربا منبع الحضارة البشرية فقاموا بحذف المواضيع التي تتعلق بالحضارات الأُخرى، مثل الإسلام من المناهج الدراسية بعد عصر النهضة، حتى يتجنبوا الاعتراف بعظمة الحضارات غير الأوربية

وكانوا أحياناً يلخصون مئة سنة من الحضارة والثقافة الإسلامية بعبارة «قرون غزوات الشرقيين الوحشية»، وحتى إنّ الكتّاب الأوربيين كانوا وللأسف الشديد يحقّرون الشعوب الشرقية ويعدّونهم جيلاً وعرفاً أحقر وأدنى من الأوربيين.

وقد حرّفت طلائع الفلسفة والفكر لعصر النهضة الأوربية الحقائق التاريخية فجعلوا هذا التفاوت بين الشرق والغرب، فكانوا يصفون الغرب بأنهم الأفضل ذاتاً، ويصفون الشرق بالأدنى ذاتاً، ويظهرون سيئات الغرب على أنها حسنات وحسنات الشرق أنها سيئات، فقلبوا وحرّفوا تاريخ العالم.

إنّ اللورد كرومر، الذي حكم مصر إلى سنة ١٩٠٣، بعد الاحتلال الإنجليزي لها سنة ١٨٨٢م، جعل في مقالة له تحت عنوان الشرق والغرب الصفات السيئة، مثل العناد والرق والظلم من خصال الشرقيين.

حتى إننا نقرأ في الثلاثين مجلداً حول بريطانيا المطبوع في سنة ١٩٧٧م: أنّ صفات وأخلاق المجتمعات الآسيوية تختلف بمقدار مئة وثمانين درجة عن صفات وأخلاق المجتمعات الأوربية.

كذلك يذكر المحقق العربي إدوارد سعيد أنّ الأوربيين قد كتبوا حول الشرق: إنّ الإنسان الشرقي يتصف بأنه ينفر من العلم وفاسد وطفولي الخلق و«متفاوت»، وفي الجانب المقابل يكون الإنسان الغربي محبّاً للعلم وطاهراً

و«طبيعـي». فالرسـالة الواضـحة التـي نفهمهـا مـن هـذه الكتابـات والأفكـار أنّ الأوربيين يتفوقون على كل العالم؛ لأنهم يمتلكون الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة، لذلك لابدّ أن يسيطروا على العالم ويقوموا باسترقاق واستغلال شعوبه.

الأشكال المختلفة للغزو أو وسائل تحقيق سيطرة الكفار على المسلمين

بشكل عام يمكن تحديد وسائل سيطرة الكفار على المسلمين في أربعة أنواع:

١. السيطرة العسكرية:

إنّ الهجمات العسكرية تعتبر من الطرق المتعارفة التي استخدمت للسيطرة على الشعوب، وهي ليست ظاهرة جديدة، بل كانت موجودة في جميع الفترات التاريخية. وقد واجه الإسلام ـ منذ ظهوره ـ هذا النوع من الهجمات في الحروب التي فرضت باستمرار على المسلمين، فقد وجد أعداء الإسلام في فرض الحروب على المسلمين الوسيلة لعلهم يستطيعون من خلالها هزيمة المسلمين وإخضاعهم والسيطرة على ثرواتهم؛ لأنّ هؤلاء الأعداء لم يستطيعوا قبول التعاليم الدينية السامية، ولا تحمل التقدم الكبير والسريع للمسلمين في جميع المجالات.

إنّ الحروب الصليبية التي شنّها الأوربيون على المسلمين تعتبر من أبرز نماذج الهجمات العسكرية، فقد بدأت هذه الحروب بسبب تفرق وضعف المسلمين في تلك الفترة والحقد والضغينة التي كان يحملها الأوربيون ضد المسلمين، حيث إنهم لم يستطيعوا تحمّل عظمة الثقافة الإسلامية التي ظهرت في الأندلس وفي قلب أوربا في عهد القرون الوسطى المظلمة، فقاموا بتحريض من الكنيسة بغزو البلاد الإسلامية مرات عديدة مرتكبين أبشع الجرائم.

لقد وضع لنا الإسلام أحكام الدفاع ضد هجمات الكفار العسكرية وقد تم بحث هذه الأحكام بإسهاب في الكتب الفقهية، ولا يوجد أي اختلاف فيها.

إنّ سيطرة الكفار على المسلمين لا تنحصر على الجانب العسكري؛ لأنّ هذه الطريقة تعتبر من الطرق القديمة التي كانت تستخدم في الفترة التي كان الإنسان يستفيد فيها من قدرة السلاح التي تتغير تبعاً لظروفه الاجتماعية لتحقيق سيطرته على الآخرين، أما اليوم فقد ظهرت طرق أفضل بكثير من هذه الطريقة، حيث لا حاجة فيها لإشعال فتيل الحرب وتحمل الخسائر الكثيرة، ويمكن أيضاً بواسطتها السيطرة على ثروات الآخرين واستغلالها.

٢. السيطرة السياسية:

يسعى العدو في هذه الطريقة وبواسطة إحاكة المؤامرات إلى تغيير الوضع السياسي في بلد ما لصالحه، بدلاً من تجهيز الجيوش وشن الحروب وإراقة الدماء، لهذا فإنه يختار عدداً من أفراد هذا البلد، ويستفيد من نقاط ضعفهم فيعمل على إيجاد حبّ التبعية في نفوسهم، ثم يقوم العدو بعد ذلك بإعطاء وعود الرئاسة والحماية لهم فيصنع منهم عملاء له حتى يتمكن من تحقيق أهدافه في ذلك البلد، فيتمكن تدريجياً من السيطرة على أركان الحكومة والشؤون الداخلية في البلد.

وحتى إنه يمكن أن يكون من بين هؤلاء الأفراد من يشغل مناصب مهمة في الدولة من رئيس الدولة وإلى مناصب أدنى، فهذه هي السيطرة السياسية التي

تجلب معها في النهاية أهدافاً اقتصادية، بل غالباً ما تكون توأماً للسيطرة الاقتصادية.

إنّ استيلاء الغرب على بلدنا الإسلامي بعد ثورة المشروطة، يعتبر أحد النماذج البارزة للسيطرة السياسية، حيث عندما رأى الاستعمار حتمية انتصار الثورة بفعل القيادة والحماية الشاملة لعلماء الشيعة العظام، قام بشن حربٍ شرسة وواسعة ضد الإسلام، فدسّ الكثير من العناصر ـ المهزومة ذاتياً من الذين يحملون الأخلاق الغربية والذين هم مولعون بمفاهيم الحضارة الجديدة ـ في نهضة المشروطة؛ حتى يتمكنوا من القضاء على القيم الإسلامية، ثم قام الاستعمار بعد ذلك بتوفير الحماية المالية والسياسية لهذه العناصر حتى تمكنوا من الوصول إلى مناصب مهمة في الحكومة وبفضل ذلك استطاعت هذه العناصر قمع القادة المتدينين المخالفين لمشاركة العناصر العلمانية في الحكومة فأجبروا هؤلاء القادة على الانزواء، وأخيراً هيّأوا الأرضية المناسبة لسيطرة الأجانب السياسية الكاملة على البلاد.

٣. السيطرة الاقتصادية:

وهي الطريقة الثالثة من طرق سيطرة الكفار على المسلمين، حيث يسعى العدو بواسطة هذه الطريقة إلى فرض سيطرته على اقتصاد المسلمين؛ حتى يستثمر الثروات والمعادن الطبيعية في بلدهم، من خلال الفعاليات والنشاطات الاقتصادية الواسعة، ولتحقيق هذا الهدف قام باستخدام الدعاية والتخطيط

الواسع لتغيير أُسلوب الاستهلاك وتقوية روحه في المجتمع الإسلامي، فكان الاستعمار أحياناً يقدم الأموال الطائلة ويقوم بتصدير البضائع الرخيصة لبلد ما مما يؤدي إلى إفلاس المصانع الوطنية فيه إلى الإفلاس، ويَحُول دون تطوّر الصناعات الوطنية، كما يستخدم الاستعمار كلّ المؤامرات والوسائل الممكنة حتى تحتكر بضائعه سوق المسلمين، وبالتالي يستطيع تحقيق سيطرته الكاملة على الشريان الاقتصادي في البلاد.

٤. السيطرة الثقافية:

تعتبر هذه الطريقة من أخطر الطرق المستخدمة في السيطرة الاستعمارية وهي أخفى الطرق أيضاً، وأنّ الخطر الكبير الذي يهدد جبهتنا الإسلامية في هذا المجال ناشئ من سعة جبهة الغزو الثقافي وتعقيده، والأضرار التي يلحقها بالروح المعنوية للجبهة الإسلامية، ويقوم بإبادة الأفكار والعقائد والقيم الإسلامية، وأخيراً الإخلال بالحياة المعنوية للمجتمع الإسلامي.

لقد قام أعداء الإسلام والبشرية في العصر الحديث ـ ولتحقيق أهدافهم الدنيئة ـ بشن هجوم وحشي واسع على الجبهة الإسلامية في كافة أنحاء العالم الإسلامي.

فالمشكلة الآن ليست في دخول الأجانب إلى بلاد المسلمين، بل المشكلة في صيرورة المجتمع أجنبياً وانهياره من الداخل.

وقد قال القائد الراحل الإمام الخميني قدّس سرّه لمسلمي العالم: «نحن لا نخشى الحصار الاقتصادي، ولا نخشى التدخل العسكري، بل إنّ ما نخشاه هو التبعية الثقافية، فإنّ استقلال ووجود كلّ مجتمع أنما ينشأ من استقلاله الثقافي، ومن السذاجة أن يظنّ أحد أنه يمكن مع التبعية الثقافية تحقيق الاستقلال الاقتصادي في جميع أبعاده أو على الأقل في بعد واحد منها...».

فليس من باب المصادفة أن يكون الهدف الأصلي للمستعمرين غزو ثقافة المجتمعات التي تحت سيطرتهم.

عندما أُجبر المجرمون الاستعماريون على التسليم في المجال السياسي بشكل لا يصدّق أمام سياسة «لا شرقية ولا غربية» لبلدنا الإسلامي، وأُصيبوا بالعجز واليأس والذلة في الجبهة العسكرية أمام بطولات أبنائنا المؤمنين، أبطال الأمة الإسلامية، بالإضافة إلى أنهم في المجال الاقتصادي لم يجدوا المؤامرات والضغوط والمقاطعة الاقتصادية تجدي نفعاً، بل على العكس لاحظوا أنّها قد أدت إلى نتائج غير متوقعة في نموّ وتوسعة وازدهار الاستعدادات الوطنية فعندئذ اضطروا إلى التوسل بآخر حيلهم، وهو الغزو الثقافي، وكما يقول قائد الثورة الإسلامية استهدفوا الخطوط الخلفية للنظام الإسلامي.

ونظراً لحساسية وأهمية الموضوع، ومع الأخذ بنظر الاعتبار اتساع جبهة الغزو والأرقام الهائلة التي استثمرت من قبل أعداء الإسلام في الغزو الثقافي يمكننا بمقدار من الوعي والسعي المستمر في كلّ المجالات تجنب الآثار

السلبية الناتجة من السموم التي يبثها الأعداء في المجال الثقافي، بالرغم من أنه ـ وللأسف ـ لم يتم لحد الآن القيام بعمل علمي وتحقيقي بارز في بلدنا في المجالات الثلاثة الأخيرة (السياسية والاقتصادية والثقافية).

وإنما قام متخصصو العلوم العسكرية طيلة الحرب المفروضة بالتحقيق والتأليف حول المسائل العسكرية وأبعادها المختلفة وحسب الظروف الزمانية، فكانت لها نتائج ملحوظة.

لذا يجب على العلماء والمحققين الإسلاميين القيام بمساعٍ وجهود تحقيقية واعيةٍ في مجال المواجهة السياسية والاقتصادية والثقافية مع أعداء الإسلام.

إنّ النقطة المهمة القابلة للتدقيق والتأمل في هذا البحث، هي الارتباط الوثيق والتأثير المتبادل بين كل واحدة من أنواع السيطرة المذكورة.

فمثلاً تثبيت نوع من السيطرة الاقتصادية، أو تثبيت موقع جديد تم الحصول عليه بهجوم عسكري، لا يمكن أن يتحقق بدون السعي الثقافي للتأثير على ثقافة الطرف المقابل وانحرافها، كما أنّ السيطرة السياسية غالباً ما تتبعها اقتصادية، فهي مترابطة مع السيطرة الاقتصادية.

النتيجة المهمة التي نحصل عليها هنا، هي أهمية الدور المخادع والتأثير الكبير للأساليب الثقافية في استمرار واستحكام السيطرة الاستعمارية.

فيقول «اسبنسر» الفيلسوف الإنجليزي المعروف: «علّموا أخلاقكم وآداب لغتكم وحضارتكم إلى شعوب الدول التي تسيطرون عليها، ثم اتركوهم

وشأنهم، فإنهم سيكونون لكم دائماً»[١].

إنّ هذا الكلام يعني ـ بلا شك ـ أنّ السيطرة الثقافية تكون مقدمة للسيطرة الدائمية، وكما هو الحال في تاريخ بلدنا، فقد لاحظنا نماذج لذلك في سيطرة السلجوقيين والمغول والتيموريين، فبرغم أنهم في بداية الغزو الوحشي قاموا بالسيطرة على البلاد بقوة السيف، إلاّ أنهم ـ وبعد استقرار حكومتهم ـ سعوا إلى التغلغل في ثقافة الناس وجعلوهم يميلون نحو الهدوء والابتعاد عن الأُمور السياسية، وكانوا يستخدمون الوزراء والعلماء والمشاورين بعيدي النظر لتحقيق هذا الهدف.

من هذا يمكننا استنتاج أن كل جماعة أو حكومة يمكنها أن تفرض سيطرتها على الناس وتزيد من قدرتها على استقلالهم واستثمار ثرواتهم وطاقاتهم، بنفس المقدار الذي تمكنت فيه من التغلغل والنفوذ في ثقافتهم وهذه تجربة تعلمتها الدول الاستعمارية جيداً وحصلت على نتائجها المؤثرة.

---

(١) الإسلام في مفترق طريقين: ٢٣.

أصل عدم استيلاء الكفار على المسلمين

إنّ واحدة من الحقائق الإسلامية المسلّم بها هي أنّ الله لا يسمح للمسلمين بالاستكانة تحت ذلّة المشركين الكفار والمنافقين، وهذا أصل إسلامي ثابت يعلمه جيداً كل من عنده اطلاع بسيط بمدرسة الإسلام وأُصول ومبادئ هذا الدين المقدس.

وتوجد بحوث كثيرة حول هذا الأصل من وجهة النظر الفقهية ـ وحسب الآية الكريمة[1] في القرآن ـ أو من وجهة نظر المبادئ والأُصول العلمية، ولهذه البحوث نتائج تتفرَّع على هذا الأصل حسب الظروف الزمانية وقد تم تحليل ودراسة هذه النتائج بدقة.

تحليل حول هذا الأصل:

إنّ بيئة الفرد وتربيته تعتبر ـ بلا شك ـ واحدة من العوامل الصانعة لشخصيته، ولها تأثير كبير على السلوك الفردي والاجتماعي للإنسان فلذلك يؤكد علماء النفس والتربية على ضرورة سلامة محيط الأُسرة والتعليم للأفراد في مختلف مراحل العمر. فبالطبع سيتربى أبناء أكفاء في محيط عائلي هادئ وسالم، ويتأهل تلاميذ جديرون ورجال نافعون يضعون المستقبل عندما يكون المحيط التعليمي سالماً ومناسباً. ويتكون المحيط أو البيئة الاجتماعية من الأفراد

---

(١) ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ النساء: ١٤١.

والأشياء والعلامات ولذلك لابد أن يتم الاهتمام بدراسة جميع العوامل التي لها تأثير على محيط الأفراد، كعناصر المحيط والعلاقة فيما بينها وكيفية تعامل أفراد البيئة الاجتماعية الواحدة مع بعضهم وتحليل وجهات نظرهم في المسائل الاجتماعية المختلفة.

بناءً على ما تقدم، فالشخص الذي يريد إصلاح المجتمع ويقود أفراده نحو السعادة الخالدة على ضوء تعاليم وأنوار الشريعة الإسلامية السمحاء المتضمنة لوسائل التكامل الإنساني، لابدّ عليه أوّلاً أن يسعى إلى تهيئة وتوفير المحيط والبيئة الاجتماعية المناسبة لنمو أفراد ذلك المجتمع نحو التكامل الديني.

وطبقاً لهذه الحقيقة يتضح التأثير والدور الكبير للمجتمع والظروف الاجتماعية في بناء شخصية الأفراد، مما دفع المربين والمصلحين الاجتماعيين إلى السعي المستمر لتهيئة محيط سالم ومناسب لنمو الأفراد سواء كان ذلك في محيط الأُسرة الصغيرة، أو في محيط المجتمع الكبير أو حتى على المستوى الدولي، فيجب على ربّ الأُسرة أن يجعل محيط أُسرته هادئاً ومناسباً حتى يتمكن من تربية أبناء أكفاء، وعلى معلم الابتدائية أو الثانوية أيضاً أن يجعل المحيط الاجتماعي في المدرسة مناسباً للتعليم والتربية، إذا كان يريد تربية تلاميذ أكفاء يمكن للمجتمع الاعتماد في المستقبل.

فالمحيط يتكون من الأفراد والأشياء والعلامات، والمهم هو معرفة كيفية تعامل عوامل المحيط هذه مع بعضها، لهذا فالشخص الذي يريد إصلاح

المجتمع ويهديه إلى طريق السعادة ـ ذلك الطريق والشريعة التي وضعها الله سبحانه وتعالى وسيلة لتكامل الناس ـ لابد أن يسعى أوّلاً إلى تهيئة محيط اجتماعي مناسب لنمو الأفراد نحو التكامل الديني.

ولمّا كان الإحساس بالحقارة من أهم عوامل العجز والانحطاط وانكسار الإنسان في الحياة، لذلك تعتبر مسألة تهيئة المحيط الاجتماعي المناسب لنمو المسلمين، الذي يشعرون فيه بشخصيتهم الإسلامية وبالرفعة والشموخ، من المسائل المهمة التي يجب الاهتمام بها في هذا المجال.

فلابد أن يكون جو المجتمع الإسلامي وكلّ مظاهر الحياة الاجتماعية فيه، دليلاً وشاهداً على شخصية ومنزلة ورفعة المسلمين بالشكل الذي يُدرك فيه شبابنا وأبناؤنا ويشعرون بكامل وجودهم ـ حتى في مراحل الطفولة ـ أن الإسلام مساوٍ للرفعة والافتخار ـ وبالطبع تكون هذه وظيفة قائد المجتمع، وذلك بأن يعمل على تحقيقه بتقوية الروح الإيمانية وخلق روح الاقتدار بين الناس ورفع القدرة العسكرية والدفاعية للمجتمع، حتى لا يمكن أن تتجرّأ أي قوة معادية على تجاوز حدود المسلمين والتعرض لها، وعلى القائد المحافظة على عزّة وسيادة المسلمين، فلا يسمح للأعداء بتحقير المسلمين وتحت كل الظروف ويوفر الأُمور اللازمة لنمو وبلوغ أفراد المجتمع نحو التكامل في كل مجالات الحياة، حتى يكون محيط المجتمع الإسلامي مناسباً لرفعة وشموخ واقتدار المسلمين.

ويحصل العكس في المجتمع البائس الذي يرزخ تحت سيطرة واستغلال الكفار، فإنّ ذلك المجتمع سيفقد تدريجياً شخصيته وهويته الإسلامية وأخلاقه الإنسانية، وبالتالي يهيئ أسباب وعوامل عجزه وانحطاطه في الأجيال القادمة.

كان هذا في مجال علاقة الفرد بالمجتمع، التي تطرح أيضاً في مجال علاقة المجتمعات الإسلامية بالمجتمع الدولي، فإذا تحقق للمجتمعات الإسلامية على المستوى الدولي الافتخار والعظمة والعزة والسيادة، فإنّ ذلك سيهيئ بالطبع عوامل تقدمها وتطورها مما يرغّب المجتمعات الأُخرى بالميل والدخول في الإسلام. وعلى العكس إذا تعاملت المجتمعات الإسلامية في علاقتها الدولية بالشكل الذي يهيئ عوامل ذلتها وتحقيرها، فإنه حتماً سيؤدي ـ معاذ الله ـ إلى هزيمة الإسلام على المستوى العالمي.

وعلى هذا، فإذا سُمِحَ في المجتمع الإسلامي لبعض الأشخاص أن يتهجموا على الإسلام والمسلمين، فإنّ ذلك سيؤدي إلى إذلال وتحقير المسلمين في مجتمعهم، ولا يكون هذا المجتمع محيطاً مناسباً لتقدم وتطور المسلمين.

إذن لابد أن يكون الإسلام عزيزاً في المجتمع الإسلامي وأن يشعر المسلمين فيه بالعزة والعظمة، فهذا أحد الأدلة المهمة التي بسببها لا يسمح الإسلام للكفار بالتسلط والسيطرة على المجتمع الإسلامي؛ لأنه سيحقّر ويذلّ

المسلمين في مجتمعهم، ويؤدي إلى عجز وانحطاط الأجيال المسلمة القادمة وعلى العكس فيما إذا شعر المسلمون بالفخر والعزة والسيادة في مجتمعهم الإسلامي، فإنّ ذلك سيؤدي إلى تهيئة أسباب نمو وتكامل الشباب المسلم.

وكذلك الحال بالنسبة لعلاقة المجتمعات الإسلامية مع العالم، فإذا تحقق للمجتمعات الإسلامية العزة والعظمة والاحترام على الصعيد الدولي، فإنّ ذلك سيؤدي إلى تقدم وتطور هذه المجتمعات وترغيب المجتمعات الأُخرى للدخول في الإسلام. وعلى العكس إذا كان السلوك الدولي يعمل على تحقير وإذلال الإسلام والمسلمين، فإنه سيهيئ أحد العوامل المهمة لهزيمة الإسلام والمسلمين.

لهذا فقد قُبِلَ أصل سيادة المسلمين وعدم سيطرة الكفار عليهم لسببين:

١. إنّ إحساس أفراد المجتمع الإسلامي بالفخر والعزة سيعمل على توفير الاطمئنان لديهم بالاستمرار في تطورهم وتقدمهم في كافة مجالات الحياة ويجدون في نفوسهم الميل نحو التعاليم السامية للدين الإسلامي الذي يشعرون في كنف حمايته بالعزة والفخر.

٢. إنّ تقدم وتطور ورفعة وعظمة المجتمعات الإسلامية وافتخارها أمام الشعوب الأُخرى سيهيئ الوسيلة اللازمة لاستمرار مسيرة الإسلام وتحقيق رسالته العالمية.

إشارة إلى الدليل الفقهي للأصل المذكور:

قبل كل شيء لابدّ أن نشير إلى مجموعة من القواعد الكلية في الفقه الإسلامي، التي تكون بمثابة كنز عظيم يمكن الاستفادة منه في جميع الأبواب الأُخرى، فمثلاً قد بحث المرحوم الشيخ الأنصاري (رض) في كتابه (المكاسب) بمقدار كتاب كامل الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾[1] والتي هي جزء من آية ـ من بين أكثر من ستة آلاف آية موجودة في القرآن ـ ولو كانت عنده فرصة أكبر لاستطاع أن يستنبط جميع أبواب العقود من هذه الآية الكريمة القصيرة.

هذا كله ببركة سعة وعمق الآيات القرآنية الكريمة، التي يمكن الاستفادة منها علمياً ومعنوياً في مجالات كثيرة، ويعلم الأشخاص الذين عندهم اطلاع بالمباحث الفقهية، مقدار الفوائد العظيمة التي استنبطت من عدد قليل من الآيات والروايات، في كتاب المكاسب العظيم ـ والذي يعد أحد مفاخر الفقه الشيعي ـ بحيث لو رفعنا هذه الآيات والروايات من الكتاب لتغير سبكةُ بشكل كبير ولو قام الآخرون بتحليل ودراسة وفهم الكثير من الروايات والآيات الأُخرى كالآية الكريمة ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[2] مثل ما

---

(١) المائدة: ١.

(٢) النساء: ١٤١.

قام به الشيخ الأنصاري في فهم وتحليل آية ﴿ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ لأصبح فقهنا أكثر غناءً أو دقة.

يوجد في الآية: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ بحث هو أنّ كلمة «جعل» هل هي جعل تكويني أم تشريعي؟ فإذا كانت جعلاً تشريعياً، ما هي النتائج التي نحصل عليها من الآية؟ وما هي الأحكام التي يمكن استنباطها من الآية، إذا كان الجعل تكوينياً وعلى أساس أنّ الإرادة الإلهية الحكيمة متعلقة بعزّة الإسلام والمسلمين.

في الواقع أنّ البحوث المطروحة في هذا المجال واسعة جداً، ولا مجال لطرحها هنا، لكن القصد أنه لو بُحثت الكنوز القرآنية بتعمق ودقة أكثر، لفتحت أبواباً جديدة من أنوار المعارف الإلهية أمام الإنسان في جميع المسائل الفردية والاجتماعية، خاصة تلك المتداولة في الوقت الحاضر.

وإجمالاً يمكن الاستنباط من الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى لا يسمح أبداً بأي شكل من أشكال سيطرة وتسلط الكفار على المسلمين في المجالات الفردية والاجتماعية، وحتى على المستوى الدولي.

نظرة إلى تاريخ كفاح المسلمين ضد أنواع السيطرة الاستعمارية

لقد حدثت على مرّ تاريخ الإسلام والتشيع مواجهات كثيرة من المسلمين ضد الأنواع المختلفة لسيطرة الأجانب، وإنّ دراسة وتحليل هذه المواجهات مفيد جداً، مع أنها تتطلب صبراً وتفرغاً أكثر، وفي الواقع قد حصلت بعض المساعي والجهود في هذا المجال، وقد تم طبع كتابة هذه المساعي والتحقيقات في كتب ومقالات مختلفة، إلاّ أنها لم تكن بالمقدار المطلوب من الناحية الكمية والكيفية، لذلك لابد أن نقوم بتحليل ودراسة جميع أنواع الجهاد والمقاومة التي أبداها المسلمون ـ منذ صدر الإسلام ـ ضد الكفار والمستعمرين وضد مختلف أنواع السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

أ. الكفاح ضد السيطرة الاقتصادية:

إنّ الفتوى التاريخية للمرحوم الميرزا الشيرازي (رض) ضد امتياز (التنباكو)[1] تعتبر من المواجهات التي حدثت في السنوات الأخيرة بتأييد وقيادة علماء الشيعة العظام ضد السيطرة الاقتصادية للمستعمرين.

بعد تنفيذ العقد، بدأت بريطانيا بنشاطاتها بشكل عملي في إيران ودخل عدد كبير من الأجانب إلى إيران بذريعة أنهم موظفون في شركة التبغ

---

(١) التنباكو: هو العقد بين الحكومة الإيرانية وإحدى الشركات الإنجليزية، بحيث يسمح للشركة الإنجليزية الاحتكار والسيطرة على التبغ الإيراني لمدة خمس سنوات. (المترجم)

الإنجليزية، مما أدى إلى حصول موجة من التنفر والغضب الشديد لدى المسلمين، حيث كان هؤلاء الأجانب يتعاملون بخشونة شديدة وبلا تحفّظ مع عامة الشعب المسلم، بسبب غرورهم بتبعيتهم لشركة التبغ وحماية الحكومة لهم.

لقد كان سلوك الأجانب ـ وخاصة الإنجليز ـ وسلوك نفس شركة التبغ ومسؤوليها في إيران، يوضح هذه الحقيقة، وهي أنّ بريطانيا كانت تخطط من خلال الحصول على هذا العقد، للسيطرة الاستعمارية المطلقة على إيران، كما فعلت ذلك في الهند.

وعندما عُرضت على المرحوم الميرزا الشيرازي، النتائج الأولية للعقد المذكور والحضور المتزايد للأجانب في البلاد والاستكبار في سلوكهم مع عامة الشعب، فإنه وبرؤيته الدقيقة وفراسته التي يستمدها من نور الله، قد أدرك أنّ هذا العقد سيؤدي إلى إذلال المسلمين وتحقيق السيطرة الاقتصادية للكفار على بلاد المسلمين، وفيه غضب الله تعالى.

لذلك أرسل في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٨ هـ.ق، برقية إلى الملك ناصر الدين، حذّره فيها من هذا الخطر، لكنه عندما لاحظ عدم اهتمام الملك بهذا التحذير، أصدر حكمه التاريخي بتحريم التبغ في العبارة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إنّ استعمال التبغ اليوم بأي نحو كان حرام وفي حكم محاربة إمام الزمان صلوات الله وسلامه عليه».

في الواقع أنّ أمر هذا المرجع الكبير لم يكن فتوى، بل كان حكماً ولائياً وبالطبع كان يستند على فتوى عامة.

لقد كان هذا نموذجاً بارزاً لنضال فقهاء الإسلام ضد السيطرة الاقتصادية للأجانب، والآن لابد أن نحدد الأُسس والمقدمات التي يستند عليها بحث مقاومة الأجانب والكفاح ضدّ سيطرتهم الاقتصادية، وإلى أي مدى يمكن تعميم هذا البحث.

فهذه سلسلة من المسائل والمواضيع التي يجب أن نتناولها بالدراسة والبحث والتدقيق.

بـ. إحدى المواجهات الأُخرى التي حدثت في العصر الحديث وقام بها زعماء الشيعة العظام بقيادة المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي (رض) هي الحركة الجهادية لعلماء العراق ضد السيطرة السياسية للإنجليز على هذا البلد الإسلامي.

فعندما أرادت بريطانيا أن تُحكم قبضتها وسيطرتها السياسية على العراق ومسلميه، أعلن فقهاء الإسلام هناك الحرب ضد بريطانيا الاستعمارية، وأصدر المرحوم الميرزا الشيرازي فتوى الجهاد تحت عنوان «وجوب الحرب ضد سيطرة الإنجليز على شعب العراق».

جـ. لقد حصلت في بلدنا الإسلامي الكثير من هذه المواجهات ضد سيطرة الأجانب، بعد أن بدأت حركة العلماء المسلمين في إيران بقيادة الإمام

الخميني الراحل (رض).

منها ما حدث للنظام البهلوي السابق، عندما أصدرت الدولة أمر مشاركة الشعب في الاستفتاء العام لتنفيذ المواد الملكية الستة، فقد أصدر العلماء الفتاوى بتحريم هذا الاستفتاء، ومن جملتها الفتوى التي أصدرها المرحوم آية الله العظمى السيد أحمد الخوانساري (رض) وهذا نصها: «المشاركة في هذا الاستفتاء في حكم محاربة إمام الزمان، عجل الله تعالى فرجه».

إنّ السبب الأساسي لحدوث هذه الاعتراضات والمواجهات ضد النظام الملكي الجبار، وفي ذروة حالة الاختناق الحاكمة في ذلك الوقت إنّما هو وجود علماء الإسلام العظام، وفي مقدمتهم الإمام الخميني (رض) قائد لواء هذه المواجهات، فقد كان يدرك بضميره الحي ورؤيته الإلهية الخاصة، أنّ هذا الاستفتاء لا يؤدي إلى تحكيم سيطرة أمريكا المجرمة وتمهيد الطريق لتسلل الأجانب إلى بلدنا الإسلامي فحسب، بل إنه ستترتب عليه الكثير من المفاسد الأُخرى.

وبرغم أنّ كل مخالفة واعتراض للنظام الملكي كانت في الحقيقة مواجهة ومخالفة لنظام أمريكا الإجرامي، بسبب تبعية النظام الملكي لأمريكا، لكن كانت بعض الاعتراضات موجهة بشكل مباشر وبلا واسطة لأمريكا، حيث كانت هذه الصلابة من المميزات البارزة لنضال الإمام الخميني (رض) ضد الاستكبار العالمي.

ومن جملة هذه المواجهات أيضاً، كانت نهضة الإمام الخميني ضد قانون «كابيتالاسيون»[١] حيث أدى إلى اعتقال وتبعيد الإمام إلى تركيا بعد تسعة أيام من بدء هذا القانون. ومن هذه المواجهات التي حدثت بأوامر وبيانات وتعليمات الإمام الراحل وكانت علامة بارزة في كفاح الشعب الإيراني المسلم ضد أمريكا، هي الحركة البطولية للطلاب المسلمين في السيطرة على السفارة الأمريكية في طهران، حيث تعتبر هذه الحركة نوعاً من المواجهة العلنية والاعتراض الشديد ضد قوى الغرب العظمى المجرمة.

كان هذا قسماً من مواجهات المسلمين التي حدثت في الأصعدة والمجالات المختلفة ضد الكفر العالمي، فكانت هذه المواجهات وما جلبته كلّ واحدة منها من نتائج وآثار دليلاً واضحاً على الكفاح الجاد للإسلام وغير القابل للوفاق مع الكفر، وكلّ واحدٍ منّا عنده اطلاع بمقدار معين على المجابهة بالطريقة العسكرية، لكن القليل منا من يعرف كيفية المواجهة السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية، لهذا يجب علينا أن نؤدي رسالتنا أمام الجيل الجديد بتنظيم وتحليل طرق المجابهة المختلفة على ضوء الدراسات الإسلامية والتحقيقات العلمية.

---

(١) هو قانون يمنح الحصانة للرعايا الأمريكان في إيران، ويمنع محاكمتهم مهما ارتكبوا من جرائم، إلا في المحاكم الأمريكية. (المترجم)

أهمية السعي والكفاح الثقافي في الوقت الحاضر

اليوم وقد تلقى الاستعمار صفعة قوية من الثورة الإسلامية في إيران وأدرك الدور العظيم للمسلمين في المعادلات الدولية، فإنه عمل ولا يزال يعمل على إيجاد الفوضى في المجتمعات الإسلامية، وإبادة المسلمين في البلاد المختلفة، مثل البوسنة والهرسك، وفلسطين ولبنان والجزائر.

لذا يجب علينا ـ بلا شك ـ حماية إخواننا المسلمين في هذه الدول وبقية المناطق الإسلامية في العالم، الذين يواجهون ويحاربون ضد أعداء الإسلام ويجب علينا أيضاً حماية المواقف السياسية للدول الإسلامية في الأصعدة والعلاقات الدولية، للمحافظة على عزة المسلمين وسيادتهم. وكذلك يجب تقوية التضامن والتعاون مع الشعوب الإسلامية في المجالات الاقتصادية.

إلاّ أنّ الشيء الحائز على أهمية أكبر هو المجابهة الثقافية، لكنه ـ وللأسف الشديد ـ كان مصحوباً في الكثير من المجالات بالغفلة وعدم الاهتمام؛ لأنّ الغزو الثقافي ـ خلافاً لأنواع الغزو الأُخرى ـ ليس تياراً محسوساً بشكل كامل حتى يمكن اتخاذ موضع دفاعي مقابله، بل له طبيعة معقدة حصل عليها من السعي والتجربة الكبيرة لأعداء الإسلام في هذا المجال، بحيث أصبح الأعداء خبراء في هذا النوع من الغزو، فهم يعلمون جيداً أنهم لو وفقوا في هذا الغزو لحصلوا على جميع أهدافهم الأُخرى دون الحاجة إلى المواجهة

العسكرية.

لكن وللأسف الشديد، لابد من الاعتراف أنّ الأعداء قد وُفّقوا إلى حدّ ما في هذا الغزو، فأصبح غلق الأبواب أمام الغزو الثقافي غير ممكن لأنّ التكنولوجيا الجديدة قد حطمت جميع الأبواب وأدخلت الثقافة الغازية عنوة في ثقافة مجتمعنا الإسلامي.

وقال الإمام الراحل (رض) في بداية انتصار الثورة الإسلامية:

«إنّ إصلاح الثقافة وإنقاذ شبابنا من التبعية للغرب، يقع على رأس جميع الإصلاحات... فإنه توجد عندنا تبعية في كلّ شيء، وعلى رأسها تبعية الأفكار فهي أساس وسبب كل أنواع التبعية الأُخرى، فإذا وجدت التبعية الثقافية عندنا فهذا يعني وجود تبعية اقتصادية واجتماعية وسياسية أيضاً، وكلّ هذه موجودة تبعاً لوجود التبعية الثقافية».

وقال أيضاً: «إذا كانت ثقافة المجتمع تابعة ومستمدة من ثقافة مخالفة، فإنها تجبر أبعاد المجتمع الأُخرى إلى الاتجاه والسير نحو الجانب المخالف، إلى أن تستهلك فيه، ونتيجة ذلك يفقد المجتمع هويته ووجوده في جميع المجالات؛ لأنّ الاستقلال الثقافي هو منشأ استقلال ووجود كل مجتمع...».

إنّ هذا الرجل العظيم كان يدرك جيداً أنه إذا قبلت أُمّة ثقافة كافرة فإنها ستقبل أيضاً تبعاً لذلك الأيديولوجية والعقائد الكافرة، أو على الأقل ستزلزل في عقائدها الدينية، وهذا ما يرمي إليه الأعداء من الغزو الثقافي للمسلمين، فقد

قال الأعداء بصراحة: إنّ هدفهم من الدعاية والتبليغ والتبشير بالمسيحية في الدول الإسلامية ليس تغيير المسلمين إلى مسيحيين، بل هم يتمنون أن يتمكنوا من زرع الشك والترديد في قلوب الشباب المسلم بالنسبة إلى اعتقاداتهم وإيمانهم الديني، فتضعف عقائدهم ويتزلزل إيمانهم بالتقرب إلى الله ونبذ الكفر، وأن يترك الشباب المسلم التمسك بهويتهم المذهبية والوطنية وقضاياهم المقدسة، وأن يتخذوا من السلوك الغربي نموذجاً لهم في كلّ مجالات الحياة وعندئذ سيشعر العدو بنشوة الانتصار؛ لأنه استطاع أن يجلب حتى جنود الخصم إلى معسكره فأصبحوا شركاء في تحقيق أهداف العدو الخبيثة.

إنّ مما يثقل رسالتنا الإسلامية والإنسانية اليوم هو النشاطات الواسعة المضادة للإسلام والمسلمين التي يقوم بها أعداء الإسلام، فقد قام الأعداء بإرسال عدد كبير من المبشرين المسيحيين إلى كافة أنحاء العالم، وخاصة إلى الدول الأفريقية، لمواجهة الدين الإسلامي في هذه المناطق، وكذلك قام الأعداء الغربيون بتخصيص أموال ضخمة ـ خاصة في السنوات الأخيرة بعد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية ـ لمواجهة الإسلام، بالإضافة إلى الأموال الطائلة التي تصرف من قبل عملائهم في بعض الدول الإسلامية لمحاربة التشيع، وقد وضعت هذه الأموال في كلتا الجبهتين لمواجهة الإسلام الحقيقي والقضايا الدينية المقدسة لشعوب العالم.

ولابد أن نعلم أنّ الإسلام والقرآن لم ينزل لنا ولعدد من الدول الأُخرى

فقط، بل إنّ جميع الناس في كل أنحاء العالم ـ لأنهم عباد الله ـ مشمولون بهذه الرحمة الإلهية الأبدية، وأنّ الله قد أمر حملة الأمانة الإلهية أن يؤدّوها إلى أهلها، فقال: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[١].

لقد استخدمت البعثات المسيحية في دول العالم الثالث طرقاً مختلفة لأداء أعمالها، فمثلاً قامت هذه البعثات في بعض الدول الأفريقية مثل السنغال، بتوقيع عقود مع العوائل الفقيرة، تقوم بموجبه هذه العوائل بإرسال أطفالها إلى المدارس التبشيرية مقابل حصولها على مساعدات مالية وكمالية قليلة، من هذه البعثات.

لقد سعى المبشرون والمبلغون المسيحيون الموفدون إلى الدول الإسلامية إلى تنفيذ أداء أعمالهم ونشاطاتهم المضادة للإسلام، بواسطة العمليات غير المباشرة والنشاطات السرية المخفية حتى يتجنبوا تهييج الأحاسيس والعواطف الدينية للمسلمين، فكانوا يقومون بنشاطاتهم ومأمورياتهم بطرق مختلفة مثل المسائل الثقافية، والسياحة والتجارة واستثمار الأموال وعلوم اللغة، وكذلك التخصص في أُمور الآثار، وبعنوان مستشار فني أو مدرب رياضي وغيرها من عشرات العناوين الأُخرى.

فعلى الرغم من النشاطات الواسعة لسبعين فرقة مسيحية ـ حيث إنّ إحدى

---

(١) النساء: ٥٨.

هذه الفرق، وهي متعلقة بايرلندا لها كنيسة تُعِدّ ستة آلاف مبلغ مسيحي ـ فإنه يعيش في دولة كينيا أُناس يقول عنهم وزير استخبارات تلك الدولة: إنهم مستعدون لقبول الإسلام، فقد يكون هؤلاء الناس هم الذين عرّفهم الله في الآية الكريمة بعنوان «أهل الأمانة».

لقد أعلن هذا الرجل المسيحي والعضو في دولة مسيحية، في سفره إلى إيران، استعداد دولته لقبول المبلغين المسلمين، ومن الطبيعي أن يكون هذا دليلاً على استعداد الناس في دولته للتوجه وقبول الدين الإسلامي وإلاّ لو كان هناك عائقاً لانتشار الإسلام لما سمح لنفسه أبداً بالتصريح بمثل هذا الكلام.

لهذا يجب علينا السعي قدر الإمكان إلى تبليغ ونشر الإسلام وإرسال المبلغين إلى الدول الأُخرى وكافة أنحاء العالم، برغم التبليغات والنشاطات الواسعة المضادة للإسلام التي يقوم بها المبشرون المسيحيون وكذلك العراقيل والعداء الذي يقوم به الوهابيون ضد التشيع، وبرغم ضعف وقلة طاقاتنا الإنسانية وإمكاناتنا المادية والدعائية غير القابلة للمقايسة مع الطاقات والإمكانات المادية الضخمة التي تصرف من قبل الفاتيكان، حتى إنّ ميزانية وإمكانيات واحدة من هذه الكنائس أكبر بكثير من كلّ الميزانية الخاصة لدولة السعودية، لكن وبرغم كل هذه المشاكل والعراقيل، ولأنّ الحقيقة تنتصر دائماً، فإننا نلاحظ اليوم النتائج الكبيرة والملفتة للنظر للنشاطات البسيطة والقليلة جداً التي تقام لتعريف التشيع في أنحاء العالم، وهو دليل واضح على إمكانية تبليغ ونشر الإسلام في

هذه الدول الأفريقية، وبالتالي يجب علينا تهيئة المقدّمات اللازمة من استثمار الأموال بشكل أكبر وتعلّم اللغات الخارجية، حتى نتمكن من تبليغ ونشر الإسلام الحقيقي والدفاع عن حريم التشيع في كافة أنحاء العالم.

إنّ من النشاطات التي يمكن القيام بها في هذا المجال أيضاً هي إيجاد الارتباط المستمر بالمراكز الإسلامية في الدول الإسلامية الأُخرى، حيث يمكن من خلال ذلك تبادل المعلومات اللازمة عن عدد المسلمين والشيعة ونوع النشاطات والفعاليات المذهبية وتقييم الاحتياجية الثقافية والتبليغية في كلّ بلد، فنستطيع بذلك تأمين بعض الاحتياجات الدينية والتبليغية لهذه المراكز، مثل الكتب والمجلات الدينية.

على كلّ حال لابد أن نعلم أنه يمكن تحقيق واستمرار شموخ وخلود الثورة الإسلامية بواسطة سعينا المتواصل في كافة المجالات العلمية والفنية والثقافية، وتلبية أغلب احتياجات المسلمين في داخل وخارج البلاد.

لقد طرحت هذه المسائل في أبعاد التبليغ والدعاية الأجنبية، أما في داخل البلاد، فقد أدت النشاطات المناهضة للدين وكذلك ترويج الثقافة الأجنبية في المجتمع الإسلامي إلى ضعف الثقافة الإسلامية وتزايد نجاحات العدو في هذا المجال، إلى الحدّ الذي تركت فيه ترسبات الثقافة الأجنبية آثارها على سلوك عدد من شباب بلدنا، فعملت على تقليل التزامهم بالأحكام الشرعية مقارنة بأوائل أيام انتصار الثورة، وأخيراً إلى تغيير القيم الإسلامية في المجتمع.

فهل إنّ بيع وشراء المواد المخدرة، وإنتاج وتناول المشروبات الكحولية وتوزيع الأفلام المبتذلة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية (أم القرى للإسلام) لم يكفِ لحدّ الآن لكي يدق ناقوس الخطر لإيقاظ بعض مسؤولي المسائل الثقافية؟

وهل إنّ التحذيرات المتكررة والعبارات المختلفة لقائد الثورة الإسلامية في هذا المجال، غير كافية أيضاً؟

من المسلم به وجود فاصلة كبيرة بين نظرية التبادل الثقافي والنظرية الأُخرى التي أطلق عليها القائد اسم «الغارة الثقافية»، إلاّ أنّ أهمية الموضوع أكبر بكثير من ذلك؛ لأنّ ما كان يراه «الميرزا الشيرازي» في استعمال التبغ لم يكن يراه ـ مع الأسف ـ بائعو التبغ، لذلك أصدر حكمه بتحريم استعمال التبغ وأنّ هذا العمل بحكم محاربة إمام الزمان (عجل الله فرجه الشريف).!

فهل سأل أحدنا نفسه إلى الآن، ما هو سبب حقن مجتمعنا الإسلامي ـ يومياً وبلا عوائق ـ بالملايين من أنواع السجائر، بمختلف الصور والعلامات التجارية الخارجية؟ ولماذا تباع أغلب السجائر الأجنبية بسعر أرخص ـ قد يصل إلى نصف القيمة ـ من مثيلاتها الداخلية، برغم زخرفتها وجذابيتها الكثيرة، في حين يبلغ سعر بقية المنتجات الغربية عدة أضعاف سعر المنتجات الوطنية؟ وكيف وبأي أموال، تضخ هذه المنتجات المضرة إلى البلاد، حتى تصل إلى حدّ الإشباع، ولماذا أن عدد أسواق هذه المنتجات في الداخل، أكثر حتى من

المخابز؟

والخلاصة هي الأيادي الخبيثة التي تعمل على رأس هذا الهرم، ومن هم الأشخاص المستفيدون من هذه المنتجات المضرة الملوثة للبيئة؟

ولماذا لا تُرسَل لنا أشرطة دراسية وكتب علمية مفيدة داخل هذه العلب الجميلة؟ ولماذا لا تُبعث إلى بلادنا الأفلام العلمية القيمة وأشرطة الدروس التحقيقية التي تزيد من القدرة الفنية والتكنولوجيا، بدلاً من كلّ هذه السجائر الخانقة، التي عرّضت سلامة الأجيال إلى الخطر؟

ولابد من تكرار هذه الأسئلة مرة أُخرى، حول المواد المخدّرة والمشروبات الكحولية والأفلام المبتذلة، ونفكر في إيجاد طريقة حل مناسبة لهذه المشكلة، وإلاّ فإنّ سمومها ستصيب ـ عاجلاً أم آجلاً ـ بدن البعض من أطهر أبناء هذه البلاد، بل إنها قد أخذت منهم لحد الآن ضحايا كثيرة. فالشباب يدخلون المجتمع بعقائد سليمة، ولكن عندما يدخلون الجامعة يعودون بعقائد متزلزلة وإيمان ضعيف، فيقعون في مخلب المشاكل الكثيرة، و يفقدون قدرة تحمل المشاكل والاعتماد على النفس فيلجأون فجأة إلى المواد المخدّرة والملوثات الأُخرى.

لقد حان الوقت لكي ينهض (ميرزا شيرازي) آخر وأن يصدر فتوى جديدة في هذا الزمان ويتحمل أعباء المجابهة والجهاد ضد الكفر العالمي.

وحان الوقت أيضاً لكي تنهض جميع طبقات المجتمع، وتنصت بكل

جوارحها لاعتراض (الميرزا الشيرازي) الذي يصدح اليوم على لسان قائد ثورتنا، وأن يشترك أبناء المجتمع في تعبئة عامة وبحركة جماعية عظيمة بحيث يزلزلون الغزاة العالميين ويحطمونهم بقوة ـ وأن يعملوا مرة أُخرى على تهيئة أسباب تقوية وتحكيم المعتقدات الدينية، وذلك بترك العادات السيئة والتخلص من رواسب الشرك والشك وعدم الإيمان، وأن يقوموا بنشر القيم الإسلامية بإقامة المجالس والمحافل الدينية في كافة أنحاء العالم، وأن لا يخشوا أبداً في هذا الجهاد المقدس من ملامة ذوي الأفكار المنحرفة والصفات السيئة، وأن يضحوا بأنفسهم في طريق الجهاد ضدّ التمييز وسحق الناس ومختلف أنواع الظلم الاجتماعي.

وإننا نؤكد مرة أُخرى أنه لا يمكن القيام بهذا الأمر المهمّ إلاّ بمشاركة وتضامن كافة الشعوب المسلمة.

إنّ إحدى حيل العدو التي استخدمها في السنوات الأخيرة هي إلقاء هذا الفكر، وهو أنه «قد انتهت وظيفتنا أمام الإسلام والثورة، وحان الآن دور عمل الدولة» وهذا خطأ كبير؛ لأنّ مسئوليتنا لم تنته بعد، في الحفاظ على مكاسب الثورة وعلى قيمة الدماء والأموال والأنفس التي قدّمها هذا الشعب من أجل الثورة والانتصار في الحرب المفروضة، هذا بالإضافة إلى أنّ الدولة في الإسلام غير منفصلة عن الشعب، وأعضاء الدولة لا يستطيعون بمفردهم حلّ وتنظيم مشاكل البلاد الكبيرة بإقصاء الشعب من المجالات المختلفة في البلاد.

الطريقة الصحيحة لمجابهة الثقافة الأجنبية

في مجابهة الثقافة الأجنبية، يجب أن نعلم أنّ العناصر الأجنبية لا تدخل دائماً إلى البلاد من الدول الغربية أو الشرقية، بل يمكن أن تكون هذه العناصر الأجنبية عن الإسلام موجودة داخل مجتمعنا وبلدنا، وتحاول زرع تراث وآداب وتقاليد ما قبل الإسلام في الثقافة الإسلامية لبلدنا ومجتمعنا.

لهذا لابد أن نعرف أوّلاً الثقافة الإسلامية، وأن نفهم ما هي الثقافة الحقيقية وأن نفصل بين العناصر الإسلامية وغير الإسلامية، حتى نتمكن من تحديد وسائل وأدوات المجابهة، ونتجنب توجيه ضربة غير إرادية للعناصر الأصيلة لثقافتنا الإسلامية.

من الممكن في بعض الأحيان أن تكون طريقة وأداة المجابهة مع الثقافة الأجنبية غير صحيحة، ولا نحصل منها على النتائج المطلوبة، وهذا سيساعد العدو على الاستفادة من هذه النتائج.

ففي القرنين أو الثلاثة قرون الأخيرة، ظهرت نماذج كثيرة لمجابهة التبعية الغربية، لكنها عملاً قد ساعدت في ترويج الثقافة الغربية، وكأنها أرادت محاربة العدو بالسلاح الذي أعطاه لها.

الترميم الثقافي:

يحتاج مجتمعنا في الظروف الحالية إلى النشاطات الثقافية بشكل كبير

لأنّ أهم نواقص ثورتنا الإسلامية كان في المجال الثقافي، على الرغم من المنافع الثقافية الغنية التي حصل عليها المجتمع بعد الثورة. فللأسف كانت هناك عوامل كثيرة ـ سواء قبل الثورة أو بعدها ـ أدت إلى عدم ظهور الحركة الثقافية المطلوبة في مجتمعنا.

ولعلّ أهم هذه العوامل بعد الثورة الإسلامية هو حدوث الحرب المفروضة، حيث كان من البديهي أن تجذب نحوها جميع القوى والطاقات الفعالة في المجتمع لكن وقد انتهت الحرب وسحقت الفتن الداخلية التي كانت قد أظهرت مخالبها وكشرت أنيابها في بداية الثورة، فحان الوقت الآن لكي نبدأ بعملية الترميم الثقافي التي كان يجب أن نقوم بها منذ اليوم الأوّل لانتصار الثورة الإسلامية.

ويجب علينا الاهتمام والعناية كثيراً بمسألة النقص الثقافي والترميم الثقافي على الرغم من وجود النواقص الكثيرة في مجالات المجتمع الأُخرى، والتي تحتاج جميعها إلى ترميم وإصلاح، كما في المجال الاقتصادي والعسكري و... والصناعي والإدراي، وغيرها؛ لأنّ مسألة النقص والترميم الثقافي لا تؤدّي دوراً مهماً في ثورتنا فقط، بل كانت على رأس جميع المسائل في الحركة الإلهية للأنبياء أيضاً، حتى يمكن القول باطمئنان كامل: إنّ حركة الأنبياء ـ وعلى مرّ تاريخ البشرية ـ كانت تحمل صبغة ثقافية وإلهية أكثر من أي شيء آخر وكان أساس عمل حركة الأنبياء مع عقل وقلب وفكر وتفكير الناس، والقضايا

الأُخرى الاقتصادية والاجتماعية وغيرها تلعب دور الأداة والمقدمة في هذه الحركة. فثورتنا الإسلامية هي امتداد واستمرار لحركة الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام لذلك بنيت على الأساس الثقافي والمعنوي الذي هو الخط الأصيل لحركة الأنبياء، إذن نحن مكلفون اليوم بإحياء وتغذية الشعب من الناحية الفكرية وكذلك بتوضيح الرؤية الإسلامية الصحيحة ونشر القيم الإسلامية في المجتمع، وعلى هذا لابد أن يكون أساس التبليغ ـ في مرحلة الترميم والمراحل القادمة ـ قائماً على بيان حقائق الإسلام ونشر قيمه، وبتعبير أدق يكون قائماً على أساس ترميم وإظهار الثقافة الإسلامية الأصيلة.

مجال الثقافة والسلاح الثقافي:

إنّ مجال الثقافة هو مجال الفكر والتفكير، ومجال الاعتقاد والميول ومجال إظهار مدارس الحق والباطل. وعلى هذا فإنّ الترميم الثقافي يعني المجابهة مع الأفكار الباطلة، ومع وجهات النظر الخاطئة، والاتجاهات الشيطانية، ومع الطرق الخاطئة والمدارس المنحرفة.

ومن الواضح أنّ هذه المجابهة تحتاج إلى سلاح خاص؛ لأنّها لا تتحقق بقوة الأسلحة واستخدام التكنولوجيا المتطورة وتعبئة الطاقات الفيزيائية، فلا يمكن إزالة فكر خاطئ من ذهن أحد الأفراد حتى لو اجتمعت شعوب العالم على ذلك مستخدمة أحدث الطرق التكنولوجية.

فالعلم هو السلاح الوحيد المؤثر في هذا المجال، فلا يمكن القضاء على الخطأ بالقوة والشعار، بل بالمنطق الصحيح، وهذا لا يعني إنكار تأثير القوة والشعار؛ لأننا نحتاج إلى الاستفادة منهما في مكانهما المناسب، لا في مجال الفكر والثقافة، فهو مجال منطق وعلم، ولكي نتمكن من هزيمة العدو الثقافي لابد أن يتجلى العقل، وأن يعمل الفكر، وتوضح الحقائق.

إذن لابد علينا أن نتسلح بسلاح المنطق والاستدلال، وبسلاح الفكر والتحقيق والعلم، حتى نتمكن في دنيا العقائد المتضادة والمدارس المتقابلة، أن نميز بين الحق والباطل، والحسن والقبيح وأن نضع كل واحد في مكانه.

إنّ الصراع الثقافي أهم وأخطر بكثير من الصراع العسكري على الرغم من وجود مواجهة واضحة ومحسوسة فيه، ولا يشاهد الإنسان فيه ـ كما في الصراع العسكري ـ مشهداً مليئاً بآلاف القتلى والجرحى، لكن آثاره ونتائجه المطلوبة وغير المطلوبة تكون أكثر سعة وعمقاً وخطراً من نتائج المواجهات العسكرية.

ولابد من الاعتراف أنه لم يتم الاهتمام ومعرفة هذه الحقيقة بالشكل المناسب والملائم لها في الماضي ولا في الوقت الحاضر.

يمكن عادة تحديد ملامح وأهداف العدو في المجابهة العسكرية فالإنسان يرى الجهة التي تنطلق منها الرصاصة والقنبلة والصاروخ ويستطيع تحديد الجهة التي تستهدفه، وكذلك يمكن معرفة السلاح الذي يستخدمه العدوّ في هذه المواجهة، لكن على العكس في المجابهة الثقافية، فإنه لا يمكن معرفة العدوّ

بسهولة، ولا يمكن تحديد المجال المتعرّض للهجوم ولا السلاح المستخدم فيها. ويصبح الأمر أكثر صعوبة وخطورة فيما لو كان الهجوم يحدث بواسطة بعض الأفراد الذين يعملون لسنوات عديدة تحت قناع الحرص على الإسلام وهم يوجهون الضربات الشديدة إلى الإسلام. فهؤلاء الأفراد يوحون أنهم من الحريصين على الإسلام والمؤمنين بالمذهب، حتى إنهم يقومون ببعض الأعمال الحسنة ظاهراً مع مراءاة ملفتة للنظر، ثم ينفثون سمومهم من بين هذه الأعمال في ثقافة المجتمع، بحيث ينخدع أكثر الناس ـ أحياناً جميعهم ـ إلاّ حالات نادرة منهم، فلا ينتبهون إلى ذلك السم الخطر، ويمكن تزيين وتغيير وجه العدو بذكاء كبير، بحيث ينخدع الناس به، فيقبلونه قائداً للحركة الثقافية في البلاد.

الأُصول والقيم الإسلامية وخطر الغزو الثقافي

مفهوم الثقافة والغزو الثقافي:

إنّ مفهوم الثقافة مفهوم واسع، وقد بحث العلماء والمفكرون حوله كثيراً، والذين عندهم إطلاع بمفاهيم علم الاجتماع يعلمون أنه قد ذكر أكثر من خمسمئة تعريف لكلمة الثقافة، بحيث لا يمكن التطرق إليها جميعاً في هذا البحث المختصر.

لكن ـ إجمالاً ـ يمكن تعريف الثقافة بأنها: «عبارة عن مجموعة الأُصول التي تحدد وتميز سلوك الإنسان عن سلوك الحيوانات».

وبشكل عام يمكن تحديد ثلاثة أقسام أساسية للثقافة:

الأوّل: المعارف والاعتقادات.

الثاني: القيم والميول.

الثالث: التصرفات والأفعال.

والمقصود من الهجوم الثقافي هو: سعي مجتمع ما لتحميل ثقافته على مجتمع آخر، له ثقافته الخاصة، أو على الأقل يعمل مجتمع ما على إحداث نوع من الإخلال في ثقافة المجتمع الآخر.

والآن يُطرح السؤال التالي:

هل إنّ الهجوم الثقافي يكون أمراً مذموماً وغير مرغوب فيه دائماً، أو أنه

يمكن أن يكون أحياناً أمراً ممدوحاً ومرغوباً فيه؟

إنّ هذا الموضوع يرتبط بقيمة البحث، لهذا لابد من القيام بتحليلها بالتفصيل، لكن ـ إجمالاً ـ يمكن القول: إنّ الهجوم الثقافي لا يكون مذموماً ومنفّراً دائماً.

فمثلاً، إذا كان لمجتمع ثقافة منحطة، وقيم كاذبة، واعتقادات خاطئة ومعارف غير صحيحة، وسعى مجتمع آخر ـ بأهداف إلهية وبقصد الإصلاح ـ أن ينظف ذلك المجتمع من الاعتقادات الخاطئة ويقوم باستبدال القيم الخاطئة بقيم صحيحة، فهذا لا يعتبر عملاً منفّراً ولا مذموماً.

فالهجوم الثقافي يقصد به عادة، الآثار والتغييرات الباطلة والمذمومة ـ أو على الأقل غير المناسبة ـ التي يوجدها مجموعة من الأفراد أو المجتمعات لتبديل أو تغيير ثقافة وقيم المجتمعات الأُخرى.

وهذا التغيير يظهر في ثلاثة أقسام:

ألف . في قسم المعارف والاعتقادات، أي تغيير رؤية الأفراد بالنسبة إلى الله والعالم والإنسان.

بـ. قسم القيم والميول:

لابد أن توجد عند الإنسان ـ بالإضافة إلى معرفته بالنسبة لجميع الأشياء ـ مجموعة من القيم والميول الخاصة به؛ لأنّ الحياة بدون الاعتقاد بهذه القيم لا تأخذ شكلها الإنساني الذي يميزها عن حياة سائر الحيوانات.

فيوصف الأشخاص بأنهم ملتزمون بالقيم الإنسانية إذا استطاعوا التمييز بين الجيد والرديء، ثم يقومون بالأعمال؛ لأنها جيدة، ويتركونها؛ لأنها رديئة. ولما كانت المجتمعات تختلف في تقييمها ومعرفة الجيد والرديء والقيّم والتافه فإذا سعى مجتمع ما أو مجموعة من الأشخاص لتغيير القيم والميول التي قبلها الناس في مجتمع آخر، فإنّ ذلك سيكون هجوماً ثقافياً على ذلك المجتمع.

جـ. في التصرفات والأفعال:

إنّ تغيير الاعتقادات والقيم سيؤدي تلقائياً إلى تغيير سلوك الإنسان في ذلك المجتمع أيضاً؛ لهذا فإنّ الأشخاص الذين يريدون الهجوم على ثقافة مجتمع ما، يسعون إلى إيجاد تغييرات في سلوك الأفراد في ذلك المجتمع وتوجد طرق متعددة لإيجاد هذه التغييرات، لابد من التعرف عليها وتقييمها بشكل دقيق.

إذن الهجوم الثقافي في مجتمعنا (الذي يتعرض إلى هجوم الأعداء الثقافي لتغيير ثقافة البلاد وبأشكال مختلفة) يعني: سعي الأعداء إلى تغيير معارف الأفراد في المجتمع بالنسبة إلى الله والعالم والإنسان، وتغيير القيم التي تعلقنا بها وكذلك تغيير سلوكنا الفردي والاجتماعي، بحيث يصبح كل ذلك بنفع الأعداء.

هدف العدو من الغزو الثقافي

يحدث الهجوم الثقافي أحياناً بأهداف إلهية، كما هو الحال في حركة الأنبياء، فنهضة الأنبياء تحمل عادة أهدافاً إلهية لتغير ثقافة المجتمع وإصلاح الأخطاء والانحرافات الموجودة في المجتمعات التي يرسلون إليها، وهذه وظيفة حمّلها الله على عاقتهم. فهذا العمل وهذا التغير يؤدي إلى التصرف في ثقافة المجتمع، لكنه عمل ممدوح ومقبول، ونحن نستقبل هذا الهجوم الثقافي الذي يؤدي إلى إصلاح الأخطاء والانحرافات والمفاسد في مجتمعنا.

فنحن يجب أن نكون ممتنين وشاكرين لأُولئك الأفراد الذين يسعون إلى إصلاح انحرافات مجتمعنا في مجال المعارف والاعتقادات والقيم والتصرفات ولا إشكال في هذا العمل مطلقاً، إلاّ أنّ ما نقصده بالهجوم الثقافي (حسب الاصطلاح المعروف) هو عكس هذا الموضوع، وهو يعني: أن يقوم مجموعة من الأفراد بإيجاد تغيير غير مطلوب في ثقافة المجتمع، فيعملون على إبدال القيم إلى ما هو ضدّها، وأن يسلبوا الاعتقادات الصحيحة من الناس، ويزرعوا بين الناس الترديد والوسوسة وعدم الاعتقاد والاضمحلال والتزلزل، ويقوموا بحقن حالة الميل نحو التفاهة أو الاعتقادات الكاذبة.

لكن لابد أن نعرف الآن أهداف الأشخاص الذين يقومون بهذا الهجوم وهو بحث له إلى حد ما صبغة نفسية واجتماعية، وحتى نوفي الموضوع حقّه لابد أن نذكر البحوث المرتبطة بهذا البحث حتى نتمكن من الحصول على

نتيجة واضحة.

إنّ الناس يؤدون أعمالهم المختلفة في الحياة بأهداف متنوعة، منها الأهداف الحيوانية، وذلك لرفع احتياجاتهم المادية والفيزيولوجية كالأكل والشرب وإشباع الرغبات الجنسية والشهوانية، فهي أهداف طبيعية تظهر في البعد الحيواني للناس فيسعون إلى إشباع هذه الغرائز والاحتياجات الحيوانية بأقصى وأفضل حدٍّ ممكن.

وبعبارة أُخرى، إنّ المسائل المادية والاقتصادية وتبعاً لها المسائل الجنسية هي الهدف الأساسي لأُولئك الناس ذوي الطبيعة الحيوانية وهناك أشياء أُخرى لها صبغة الواسطة بين هذه الأهداف. وإن جميع النشاطات الأُخرى في الأبعاد الاجتماعية المختلفة العلمية والصناعية والفنية، أنما تحصل لخدمة وإشباع الغرائز الحيوانية، وحتى الجهود التي يقوم بها العلماء في المختبرات والمراكز العلمية، وكذلك الأبحاث والتحقيقات التي تحصل في المجالات المختلفة تحصل جميعها بهدف إشباع اللذائذ المادية والجنسية لهؤلاء الناس.

و نلاحظ اليوم أنّ هذه المسألة موجودة في أكثر المجتمعات الغربية وهذا لا يعني أنّ جميع الناس هناك بهذا الشكل، إلاّ أنّ أغلب الناس ومسؤولي المسائل الاجتماعية لهم أهداف مادية واقتصادية، وتكون بقية المسائل عندهم ثانوية وبمثابة المقدمة والواسطة، فمثلاً تكون السياسة واسطة للاقتصاد، فهم يريدون بالسيطرة السياسية أن يحصلوا على المنابع الاقتصادية للبلد، ويجعلوه

سوقاً لمنتجاتهم. وكذلك تكون السيطرة الثقافية مقدمة للسيطرة الاقتصادية أيضاً؛ لأنّ الأعداء لا يستطيعون بيع منتجاتهم وبضائعهم إلى شعوب ليست مستهلكة ولا تتفق ثقافتها ومثقفيها مع رغبة العدو، أي أنّ الأعداء لابدّ أن يعملوا على تبديل ثقافة الشعوب في البلاد المختلفة حتى يستطيعوا يومياً تصدير منتجاتهم وبضائعهم أكثر فأكثر إلى هذه البلاد.

فإذا كانت ثقافة الشعب في البلد قائمة على أساس الاعتقادات المذهبية مثل الزهد والتقوى، فإنّ هذه البلاد لا يمكن أن تكون مناسبة للأعداء؛ لأنهم لا يستطيعون فيها عرض أدوات ووسائل التجميل الجديد ولا وسائل الزينة وأمثالها؛ لأنّ ذلك الشعب يميل حسب اعتقاداته المذهبية وأخلاق الحياة البسيطة إلى تجنب الإسراف والتبذير، فيستفيدون من وسائلهم لسنوات عديدة ولا يحتاجون إلى استبدالها بوسائل الأعداء الحديثة، فهذه العقائد والأخلاق ليست بنفع الأعداء؛ لأنها تمنعهم من جعل هذه البلاد سوقاً لبيع منتجاتهم وسلعهم، لهذا يسعى العدو إلى تبديل ثقافة هذه الشعوب إلى ثقافة استهلاكية تؤمّن مصالحه، كما كان يُروّج لهذه الثقافة الاستهلاكية في بلادنا في عهد النظام السابق، لهذا كانت الوسائل القابلة للاستعمال ترمى بعيداً، وأخذ العدو يشجّع الشعب بطرق مختلفة على الاستهلاك أكثر من اللازم، في حين كان الأعداء يشجعون الاقتصاد في المصرف في بلادهم الاستثمارية، فكانت علب الدواء والعصير الفارغة وعلب المشروبات الغازية توضع في صناديق خاصة

وتجمع من قبل البلدية للاستفادة منها مرة أُخرى، وحتى إنهم يستفيدون من قشور الفاكهة المستهلكة، مثل البرتقال والبطاطا، لعمل المربّى وغيرها من الوسائل المفيدة، فالأعداء يفرضون علينا الثقافة الاستهلاكية لتأمين منافعهم الاقتصادية، لكنّهم يقتصدون في المصرف في بلادهم.

إذن الهدف الأساسي للأعداء من الهجوم الثقافي هو الاقتصاد وكسب المنافع المادية، ولا زالوا يتابعون نفس هذا الهدف الآن، ولكن ليس بشكل عام؛ لأنّ الناس الذين يحملون ثقافة أصيلة، لايهتمون بالمسائل الاقتصادية والرفاهية فقط، بل تكون هذه المسائل كمقدمة وواسطة عندهم.

فنحن نذهب إلى العمل لتأمين احتياجاتنا الطبيعية مثل الغذاء واللباس فبعض منا يعمل في الزراعة، وآخرون يعملون في الصناعة، وبعض مشغول بالأعمال الخدمية لتأمين احتياجاتهم الحياتية، لكن يتغير الحال عندما يصبح مجموعة من الناس مسؤولي هذه الأعمال، عندئذ يصبح المال لهذه المجموعة الهدف الأساسي، أي أنّ المال كان في البداية وسيلة لتهيئة غذائهم ولباسهم وبعد أن أصبحوا مسؤولين وعملوا في المسائل الاقتصادية أصبح هدفهم الأساسي جمع المال، لهذا ترى اليوم الكثير من الأفراد يجرون وراء جمع الأموال أكثر ما يمكن، حتى إنّ بعضهم لا يقتنع بمقدار معين ويفكر دائماً بزيادة ثروته، برغم أنهم يأكلون أحسن الغذاء ويلبسون أفضل الملابس ويسكنون أفخر القصور، وتكفي ثروتهم لهم ولأبنائهم لسنوات عديدة، فهؤلاء

عندهم جنون جمع الأموال، خاصة أولئك الذين تعوّدوا على أكل الربا فالقرآن الكريم يقول: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾[1]. يعني أن تظهر عند هؤلاء الأفراد حالة نفسية عجيبة تشبه الجنون، فهم لا يهتمون ماذا يفعلون بهذه الأموال، ولا أي فائدة تحققها لهم، بل الشيء الوحيد المهم عندهم هو امتلاك وجمع المال.

لقد ذكرنا هذا الموضوع كنموذج، حتى نعلم أنّ كثيراً من الأشياء التي لها صبغة الواسطة بالأصالة، تكون هدفاً عند بعض الأفراد والمجموعات، فالمال هو وسيلة لتأمين الاحتياجات المختلفة اللازمة للحياة، لكن نجد أنه يكون هدفاً عند عبدة المال وجمع الثروة، فتراهم يبخلون في الغذاء واللباس ما أمكنهم حتى لا تنقص أموالهم، وهذا الأمر ينطبق على الكثير من القضايا الاجتماعية فإنّ بعضها يكون هدفاً عند بعض المجتمعات، لكنها تكون وسيلة وواسطة عند مجتمعات أُخرى، فالثقافة أصل وهدف عند البعض، ووسيلة وواسطة عند البعض الآخر، وكذلك الحال بالنسبة للهجوم الثقافي فهو أصل عند البعض ووسيلة عند البعض الآخر.

فالأنبياء والمصلحون الإلهيون يسعون إلى تبديل ثقافة الناس؛ لكي يجد الناس الاعتقاد الصحيح، ويلتزمون بالقيم الإنسانية العليا، لا لأن يتحسن وضعهم

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

الاقتصادي. فهذا الموضوع أصل وهدف عند الأنبياء والمربين الإلهيين، لكن يمكن أن يكون وسيلة وواسطة عند الآخرين.

إذن يتضح هنا الجواب على هذا السؤال: ما هو هدف الهجوم الثقافي؟

تتفاوت أهداف الأفراد من الهجوم الثقافي، فأحياناً يكون مقدمة لأهداف أُخرى، وأحياناً أُخرى يكون الهجوم الثقافي هدفاً بحد ذاته.

الهدف الأكبر للمهاجمين الثقافيين، هو تحقيق المصالح الاقتصادية:

إنّ هدف أكثر المهاجمين الثقافيين اليوم هو أن يستفيدوا من هذا الهجوم كأداة ووسيلة لأهداف أُخرى، فهم لا يعترفون أبداً بأصالة القضايا الثقافية وليس مهماً عندهم أي شيء في الحياة سوى إشباع الشهوات المادية وجمع المال، فهم يستخدمون كلّ شيء كوسيلة للوصول إلى هذه الأهداف، وما السعي الذي يقومون به سواء في بلدانهم أو في المجتمعات الأُخرى، إلاّ كمقدمة وواسطة لتحقيق الأهداف الاقتصادية، والرفاه المادي والشهوة الجنسية وأمثالها، حتى إنّ بعض المسائل مثل السيطرة السياسية والعسكرية، والتفوق العلمي والتكنلوجي تكون أيضاً وسيلة لتلك الأهداف.

فهؤلاء الأفراد يستخدمون الغزو الثقافي على المجتمعات الأُخرى كأداة ووسيلة لتحقيق أهدافهم، وليس قصدهم إصلاح ثقافة وعقائد الآخرين، ولا يهتمون أن تكون عقائد وقيم تلك المجتمعات صحيحة أو خاطئة؛ لأنهم لو

كانوا يتألمون على الآخرين لسعوا أوّلاً لتصحيح عقائدهم.

إذن هؤلاء الأفراد يفكرون بتغيير ثقافة الناس لتحقيق مصالحهم الاقتصادية فقط، وأوّل نتيجة سيحصلون عليها من هذا العمل أنهم سيتمكنون من تحطيم غرور الناس؛ لأنه إذا رفض شعب ما ثقافته الأصيلة فكأنه قد فقد هويته الاجتماعية، وعندما يترك هذا الشعب ثقافته ويصبح تابعاً للآخرين، كأنه قد طوق عنقه بقيد طاعتهم والعبودية لهم؛ لأنّ عبودية وتبعية الشعوب الثقافية أنّما تحصل بتحطيم غرور وشخصية هذه الشعوب لذلك كان هذا بداية عمل المهاجمين الثقافيين، وهدفهم الأساسي هو أن يقبل الناس الآداب والتقاليد التي يضعونها لهم، ويبدلوا سلوك الشعوب لتلائم مع رغباتهم العدائية وأخيراً تقبل هذه الشعوب القيم الكاذبة، مثل الجري وراء موضات اليوم وتغيير الديكورات والملابس، فإذا استطاع المهاجمون تحقيق هذا العمل، وأصبح الناس عبدة الموضة وتابعين لنزعات وعقائد الآخرين ومقلدين لهم، لاستطاع المهاجمون تحقيق أهدافهم ببيع منتجات وسلع كثيرة في أسواق هذه الشعوب، مستخدمين حيلاً كثيرة لذلك، فمثلاً يقولون: إنّ هذه السلعة هي موضة اليوم وستخرج من الموضة غداً، فلا يهتم الناس بفائدة هذه السلعة الموضة في حياتهم بل الشيء الوحيد الذي يهتم به مثل هؤلاء الناس هو أن يفكروا بتهيئة الوسائل والسلع الجديدة التي تلائم الموضة. وتلعب الحملات الدعائية للمؤسسات التجارية دوراً مهماً في تحقيق أهداف المستعمرين هذه ويكون الشباب أكثر تأثراً بهذه

الدعايات والموضات التي يروّج لها المستعمرون من بقية فئات المجتمع، فقد كان البنطلون العريض موضة في الماضي، أما اليوم فقد أصبحت البنطلونات الضيقة هي الموضة أو بالعكس. فقد أصبح الكثير من قبيل هذه الأشياء موضة بالاستفادة من الدعاية المنتشرة في الأفلام، ولذلك يحصل الأشخاص الذين يعرضون تصاميم هذه الموضات في الأسواق على أرباح كثيرة، وكذلك المنتجون لهذه السلع بالاستفادة من تلك التصاميم.

إن حياتنا ممتلئة بمظاهر الهجوم الثقافي لمستكبري العالم، وإنّ كل واحد من هذه المظاهر يكون وسيلة للسيطرة الاقتصادية، وبالطبع فإنّ المستعمرين يستفيدون من السيطرة العسكرية والسياسية أيضاً لأحكام قواعد قدرتهم أو نفوذهم في المجتمعات المختلفة، إلاّ أنّ ذلك يكون مقدمة لتحقيق السيطرة الاقتصادية، فهي ذات أصالة عندهم وهدفهم وغايتهم النهائية.

فمسألة التطور الاقتصادي من أهم المواضيع المطروحة في العالم اليوم وهي محور بحث السياسيين الكبار في العالم، فهم يفكرون باستمرار: هل أصبح دخل الفرد في الدولة الفلانية أكثر أم أقل؟ وهل ازدادت صادراتها وغير من ذلك المسائل، ومثلاً أنّ أمريكا في حالة قلق لأنّ اليابان في حالة تطوّر اقتصادي سريع.

إنّ التطور العلمي والتكنلوجي ليس أكثر من شعار، فأمريكا لا تقلق من استيرادها لتكنلوجيا من اليابان، إذا استطاعت أن تبيع سلعها بشكل أفضل وأكثر

لأنّ هَمَّ أمريكا في أن يتحمل العلماء اليابانيون مشقة اختراع وصناعة هذه السلع ثم تستوردها منهم، ثم تعمل تغييرات على هذه السلع وتبيعها كسلع أمريكية فتعود أرباحها في جيوب المستثمرين الأمريكان كذلك أنّ الموضوعات التي يطرحونها بحجة أنّ التكنولوجيا عندهم أكثر تطوراً أنّما هي وسيلة للدعاية حتى يستطيعوا أن يستفيدوا من ذلك اقتصادياً.

إذن يمكن أن يحدث الهجوم الاقتصادي بأهداف مختلفة، لكن الهدف الأكثر أهمية عند الاستعمار العالمي هو السيطرة الاقتصادية على دول العالم وهذا هو أهم أهدافهم من الهجوم الثقافي.

السابقة التاريخية للغزو الثقافي

تطرح في موضوع الغزو الثقافي الأسئلة التالية:

من أين بدأ الهجوم الثقافي؟ وهل إنّ الهجوم الثقافي ظاهرة جديدة أم لها سابقة تاريخية؟ ونحن إذا أردنا تحليل هذه المسائل من الناحية التاريخية، فلابد أن نراجع الأسناد والمصادر التاريخية، وهذا عمل شاق يأخذ وقتاً طويلاً ويحتاج إلى تحقيقات كثيرة، لكن إجمالاً يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾[1].

يقول الله تعالى، في كيفية تكون المجتمعات والطبقات ووجود عوامل الحق والباطل في المجتمع: إنّ الله قد جعل دائماً مجموعة من الأنبياء والمصلحين في المجتمعات الإنسانية، وعلى أساس تدبير تكويني إلهيّ، يتم تحشيد مجموعة من الشياطين مقابلهم، وهؤلاء الشياطين ليسوا من الجن فقط بل من الإنس أيضاً، فهو يقول: ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾.

فالأنبياء وأنصارهم يأتيهم الإلهام من الله تعالى، ويكون لهم هدف إلهي وهو: تطوير المجتمع وإيصاله إلى الكمال الإنساني. وقد ذكرت قصص الأنبياء في التاريخ والقرآن كثيراً. ولابد أن يقف في مقابل الأنبياء (وبتدبير إلهي) مجموعة من الشياطين؛ لأنّ القرآن يذكر أنّ هدف خلق الإنسان هو أن ينتخب

---

(١) الأنعام: ١١٢.

طريقه باختياره، لذلك وحتى يجد الإنسان قدرة الاختيار لابد أن يكون أمامه دائماً طريقان متوازنان، بحيث لا ترجح كفة أحدهما على الآخر، فلو بعث الله الأنبياء فقط لازداد الإيمان قوة وتفوق على الكفر، وكذلك لو لم يرسل الأنبياء لوجد الكفر عامل التفوق واختل التوازن. فلابد أن تكون هناك حالة توازن بين هذين الطريقين حتى يصبح الإنسان دائماً أمام قوتي جذب متعادلتين، فيستطيع حينئذ الاختيار؛ لأنّ قيمة الإنسان تكون مرتبطة بالطريق الذي يختاره.

ولأجل أن يحصل الاختيار الصحيح بالمعنى الدقيق للكلمة، لابد أن تكون العوامل الجاذبة إلى الطريق الأيمن والأيسر، وإلى الحق والباطل متوازنة مع بعضها. والله تعالى يكرر ذكر هذا التدبير الإلهي في القرآن الكريم، فهو يقول: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا ﴾، يعني نحن جعلنا هذا التدبير: إنه لابد أن يقف مقابل الأنبياء مجموعة من شياطين الجن والإنس، لكن من هم هؤلاء الأعداء؟ أمريكا اليوم هي الشيطان الأكبر، لكن لم تكن أمريكا هي الشيطان دائماً لأنها دولة بلا هوية فقد ظهرت في القرنين أو القرون الثلاثة الأخيرة وكانت هناك دول ومجتمعات إنسانية كثيرة ذات أصالة، قبل أمريكا مثل إيران، والروم والصين والهند وأمثالها، وكان موضوع الاستكبار وحب السيطرة موجوداً دائماً بين الناس، من أبناء آدم وإلى الوقت الحاضر.

إنّ هذه القضية كانت وستبقى موجودة دائماً، فالناس المستغلون الذين عندهم حب التفوق وغير المقتنعين بحقهم موجودون دائماً وسيظهرون كل

يوم، وبأشكال مختلفة، ولن تنتهي هذه الروحية المتسلطة أبداً، وسيقف الأنبياء لمواجهتها، وتسعى كل من هاتين المجموعتين (الحق والباطل) إلى إزالة إحداهما الأُخرى والقضاء عليها، وهذه طبيعة الصراع بين الحق والباطل.

لقد أشارت الآية الشريفة، إلى طبيعة نشاط الشياطين وأُسلوبهم؛ لأنّ القرآن قد أراد من ذلك هدايتنا؛ لكي نعلم ونتعرف على الأعداء الذين يتربصون بنا، حتى نستطيع اتخاذ موضع مناسب مقابلهم، ويوضح القرآن الكريم في الآية الكريمة أُسلوب عمل شياطين الإنس الذين نهضوا لعداء الأنبياء، فيقول: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾[1]. أي الاستفادة من القول والكلام الجميل المخادع.

ويقول تعالى في نهاية الآية كجملة اعتراضية: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، أي كما أرسلنا الأنبياء ومددناهم بكل أنواع القوى المعنوية فقد أعطيناهم أيضاً الوسائل اللازمة لذلك العمل، وهذا جزء من التدبير التكويني الإلهي، ويكون هذا التدبير بحيث تظهر كلتا المجموعتين معاً وتنموان وتتطوران باستمرار، ويظهر لكل منهما أنصار يواصلون طريق وهدف كل منهما، فهدف الشياطين من القيام بأعمال وحيل مختلفة لجلب أنصارهم هو: أن يخدعوا أُولئك الناس الذين لم يؤمنوا بعد، وما زالوا يعيشون في مستوى الحياة

---

(١) الأنعام: ١١٢.

الحيوانية، ويقبلون فقط كل ما يرونه ويحسّونه، ولا يستطيعون إدراك ما وراء الحسيات أو الاعتقاد بها، ولا يؤمنون بالغيب والآخرة، أما الناس الذين يؤمنون ويعتقدون بما وراء هذا العالم فإنهم لا ينخدعون بالحيل الشيطانية.

إنّ جميع الناس ـ عدا بعض الأفراد النادرين والاستثنائيين ـ تكون عندهم في بداية حياتهم رؤية طبيعية ومادية، ثم يبدأون تدريجياً بدرك بعض مسائل ما وراء الطبيعة، وإنّ شياطين الإنس والجن يتربصون حتى يوقعوا هؤلاء الأفراد في الفخ.

إذن يكون جواب هذا السؤال: متى بدأ الهجوم الثقافي؟ إن الهجوم الثقافي قد بدأ منذ بداية الحياة الاجتماعية للإنسان، فقد كان البشر منذ ذلك الحين في مجموعتين هما الحق والباطل.

أشكال الهجوم الثقافي

إنّ مما يقبل التأمل أنّ الله تعالى في القرآن الكريم لا يقول: إنّ عمل شياطين الجن والإنس هو إضعاف حق الآخرين، فيظلمون الناس ويقتلونهم ويغزونهم، بل يصف عمل الشياطين بالهجوم الثقافي فالشياطين يبدلون الفكر والعقيدة، حتى لا يقبل الناس الإيمان بالآخرة والرؤية المعنوية والقيم العليا السامية، فقد ركز الشياطين جهودهم في هذه المسألة؛ لأنهم يعلمون أنهم إذا استطاعوا تحقيق الهجوم الثقافي لانتصروا في بقية الأقسام الأُخرى أيضاً، فهم يحاولون تحطيم ذلك الحصن المنيع الذي يتمثل بالأفكار والاعتقادات الصحيحة والعقائد؛ لأنها تقف أمام تحقيق أهدافهم الشيطانية المتمثلة بالمفاسد والانحرافات والاستغلال الاجتماعي، إذن يكون الهدف الأساسي لأعداء الأنبياء هو التأثير على العقائد وتغيير ثقافة الناس، فمن هذه النقاط نستطيع الآن الإجابة على السؤال:

كيف يحصل الهجوم الثقافي وما هي أشكاله؟

إنّ الهجوم الثقافي يحصل بطرق وأشكال متعددة تتناسب مع الظروف الزمانية المختلفة، لهذا لابد أن نعرف أشكال هذا الهجوم على مجتمعنا في الوقت الحاضر وفي الظروف التي نعيشها الآن؛ لأنّ الماضي ليس مهماً عندنا.

وكما قلنا سابقاً: إنّ المحاور الأساسية لهذا البحث تتلخص في الأقسام الثلاثة التالية:

١. الرؤى والاعتقادات.

٢. الميول.

٣. التصرفات والأفعال.

ففي قسم الاعتقادات، يسعى الأعداء إلى تغيير رؤيتنا بالنسبة إلى الوجود والإنسان، فالعدو إذا أراد تغيير عقائدنا بالنسبة إلى الله، وبدء وحدوث العالم والمعنويات والروح والملائكة، وبالنسبة إلى الوحي والحساب والكتاب، فإنه يسعى أوّلاً إلى تعريف هذه الأُمور على أنها خرافة وأساطير من نسج الخيال وإذا استطاع العدو أن يطرح هذه الأمور على مستوى المحيط الاجتماعي لتركت آثاراً كبيرة على الشباب.

فالعدوّ يسعى إلى تلقين هذه الفكرة (إنّ هذه الأُمور ليست سوى كلام خيالي)، إلى الأشخاص الذين لم يحصل عندهم إيمان حقيقي بمسائل ما وراء الطبيعية، فيقول الأعداء لهؤلاء الأفراد: إنّ مجموعة من الأشخاص جلسوا ونسجوا هذا الكلام الخيالي لأنفسهم، وإنّ الإنسان لا يمكن أن يحصل على اعتقاد قطعي، ولا يمكن الوصول إلى يقين في كل شيء، و....

إنّ كلمة (دوغماتي)[1] في الثقافة الغربية تكون بمثابة الشتيمة؛ لأنها تعني

---

(١) الدوغماتية dogmatism (الجزمية): تأكيد الرأي أو القطع به بغطرسة أو بدون مبرر كافٍ. (المترجم).

الشخص الذي يستند على الاعتقادات القطعية وغير مستعد للتخلي عنها، لكنّ القرآن على العكس من ذلك، فهو عندما يصف المتقين يقول: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1]، وعندما يريد ذم قوم يقول: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾[2] يعيشون في شك وحيرة ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾[3].

إنّ فلسفة الغرب تقول اليوم: إنّ الاعتقاد بالمسائل غير المادية هو من الخرافات، فلا يجب عليك أن تقبل الشيء الذي لا تراه ولا تحسه، وإلاّ أصبحت مثالياً وخيالياً، وحتى لو اعتقدت بشيء فلا يجب أن تتعصب له لأنّ لكل شخص اعتقاده الخاص، وليكن لك اعتقادك الخاص أيضاً لكن لا تتعصب له ولا تصرّ على أن كلامي باطل وكلامك حقّ «عيسى في دينه، وموسى في دينه».

فالغربيون يظنون ويزعمون أنه لا يحق للإنسان أن يكون عنده يقين في أي شيء؛ لأنه لا يوجد ـ أصلاً ـ شيء في العالم قابل للتصديق، وحتى لو اعتقدت بشيء فلا يحق لك تحميل عقيدتك على الآخرين، لهذا (وعلى هذا الأساس) لا يحق لأي شخص أن يدعو شخصاً آخر لقبول الإسلام؛ لأنه وحسب ظن الغربيين حتى عبادة الصنم تكون نوعاً من الاعتقاد ولا يجب ذمه.

---

(١) البقرة: ٤.
(٢) النمل: ٦٦.
(٣) النمل: ٦٦.

الأصول والقيم الدينية وتشكيكات المهاجمين:

إذا كان عند بعض الأشخاص يقين بأنّ الإسلام حق، ولابد أن يؤمن جميع الناس به، وإلاّ يصبحوا ضالين، ويتحملوا عذاب الآخرة، وتتعرض سعادتهم الأبدية إلى الخطر، فإذا آمن الناس بتعاليم وعقائد الإسلام لتغيّر شكل حياتهم من الأساس، وقد لاحظنا تأثير ذلك في السنوات الأخيرة في الملاحم والبطولات التي حققها شبابنا المؤمنون في ساحات القتال فقد هزّ هؤلاء الشباب الدنيا، وهم لم يتجاوزوا الخامسة أو السادسة عشرة نتيجة اعتقادهم العميق بتعاليم الإسلام والاعتقاد بالآخرة والإمدادات الغيبية. فإذا أخذ شعب ـ ستون مليون نسمة ـ هذه المسائل الاعتقادية بجدية واهتمام كبير لاستطاع حتماً التأثير على بقية الشعوب ولغيّر الدنيا كلها.

ويحاول العدو دائماً باستخدام وسائل الدعاية والإعلام أن لا تؤخذ هذه الأُمور الاعتقادية بشكل جدّي، فيقول: إنّ الدين هو مجموعة من العقائد المتعلّقة بالحياة الشخصية للأفراد، فكلّ شخص حرٌّ في اعتقاده لكن يجب أن لا يتدخل في اعتقاد الآخرين، في حين أنّ معظم الشعارات التي كانت تطرح في بداية الثورة هي «نحن نصدّر ثورتنا إلى كافة أنحاء العالم»؛ أي لدينا مجموعة من الاعتقادات ونريد إثباتها للآخرين، ولا نجبرهم على قبولها، بل نقول لهم: اسمعوا كلامنا فإذا كانت أدلته صحيحة ومقبولة فاقبلوه عندئذ.

فبماذا يجيب الأعداء على ذلك الكلام؟ يقولون:

أولاً: لا يحتاج أن تطرحوا دليلاً أصلاً؛ لأنه لا اعتبار للأدلة الفلسفية والعقلية، وإنما نقبل الأدلة الحسية والتجريبية فقط.

وثانياً: إن من الخيال -ويستحيل تحققه- كشف شيء بشكل يقيني والحصول على معرفة صحيحة عنه، فلن تستطيعوا ذلك؛ لأنه لا يمكن كشف الحقيقة وإيجاد الاعتقاد بشيء معين، فالإنسان لا يمكنه التخلص من الشك فهذه مجموعة من الأعمال التي يقوم بها أعداؤنا لتغيير عقائدنا في مجال المعرفة والنظرة إلى العالم، وإنّ أكثر وأهم الأعمال هي تلك التي يقومون بها لإضعاف وإزالة إيماننا.

أما في مسائل القيم، فقد كان الناس في سنوات الحرب المفروضة يساعدون الجبهة بأشكال مختلفة، فكان كل شخص يساعد حسب استطاعته من المرأة العجوز والرجل الكبير والطفل والشاب. ولم تكن تلك المساعدات إلاّ بسبب اعتقادات الناس بالله والقيامة والحساب والكتاب وبسبب مجموعة القيم التي تعلقوا بها مثل الإيثار، والتضحية والفداء وغيرها. فقد كان الناس مستعدين للتضحية بحياتهم من أجل الحفاظ على هذه القيم، فالتمسك بهذه القيم والاعتقادات هو الذي علمهم خلق تلك الملاحم والبطولات في الحرب.

فإذا نجح العدو في تضعيف وإزالة تمسك الناس بهذه القيم والاعتقادات لاستطاع تحقيق أهدافه الخبيثة، لذلك يسعى دائماً لإظهار أنّ هذه القيم أنّما هي

قيم اعتبارية، فيقول العدو: يمكن أن نجد مجموعة من الأفراد يستحسنون عدداً من المفاهيم ويتعلقون بها، فتصبح ذات قيمة عندهم، في حين يستحسن أفراد آخرون مجموعة أُخرى من المفاهيم فتكون لها قيمة عندهم، وهكذا نرى اليوم أنّ الشيء الفلاني ذا قيمة عند المجتمع، وغداً يظهر شيء آخر، وهكذا... وذلك لأنهم:

أوّلاً: لا يملكون دليلاً عقلياً على ذلك.

وثانياً: حتى لو فرضنا وجود دليل عقلي، فهذه الأدلة ليست قابلة للاطمئنان؛ لأنها مسائل ميتافيزيقية وغير قابلة للإثبات، كما لا يمكن اعتبار القيم من المسائل الميتافيزيقية؛ لأنها قيم اعتبارية، ولا يوجد للقيم الاعتبارية برهان فإذن يسعى الأعداء باستمرار إلى تصوير الحقيقة بهذا الشكل، وهو أنّ القيم اعتبارية فاليوم تكون بعض المفاهيم ذات قيمة عند الناس، وغداً تصبح مجموعة أُخرى ذات قيمة عندهم، فاليوم تكون التضحية والفداء والاستشهاد أعمال ذات قيمة في المجتمع، وغداً يصبح حب المال والسكن في القصور والصناعة والتكنولوجيا هي الأُمور القيّمة عند ذلك المجتمع.

فإذا انتشرت هذه الفكرة في المجتمع -إنّ القيم أُمور اعتبارية، وليس لها قاعدة وأساس، وإنها تابعة لمجموعة من الظروف الاجتماعية والثقافية الخاصة- فإنّ ذلك سيؤدي تدريجياً وبمرور الزمان إلى أن تزول القيم والاعتقادات من مجتمعنا بسبب التأثير الكبير للثقافة الأجنبية على الشباب فيؤدي ذلك في

المستقبل إلى فقدان الشباب روح الاستعداد للتضحية فلن نجد بعد ذلك من يربط القنبلة اليدوية حول جسده ويرمي بنفسه تحت الدبابة، كما كان في سنوات الحرب المفروضة، لماذا؟

لأنّ هذه الأعمال كانت لها قيمة في المجتمع، أما اليوم فقد أصبح للفن والرقص والغناء وأمثالها قيمة في المجتمع!!

إذن فالمستعمرون يقومون بهذه المؤامرات لأجل إبعاد مجتمعنا عن العمل بقضاياهم القيّمة، أي يبعدوننا من تلك التصرفات التي لا تكون بنفع ومصلحة المستعمرين؛ لأنهم يعلمون أنّ سلوك شعبنا والجهاز المسؤول عن القيم والاعتقادات، هي التي حوّلت هذا الشعب إلى قوة عظيمة لا تستطيع كل قوى العالم من مواجهته وإذلاله، فتمسك شعبنا ومجتمعنا بهذه الاعتقادات والقيم سيكلف الاستكبار ثمناً باهضاً ويؤدي إلى هزيمته في المجابهة السياسية والعسكرية والاقتصادية، لهذا لم يجدوا طريقاً أفضل من المواجهة والغزو الثقافي، لتحقيق أهدافهم الخبيثة.

المجابهة الثقافية هي أفضل ما يُتقنه العدو:

لم يتمكن العدو من تحقيق أهدافه في طرق المجابهة المختلفة، فقد فشل في المجابهة السياسية برغم تدخله في تشكيل وتنظيم المجموعات والأحزاب المختلفة، وفشل في المجابهة العسكرية والحرب المفروضة وكذلك فشل في الحصار الاقتصادي ومصادرة أموالنا وبضائعنا التي اشتريناها، فعندئذ لم يبق

أمامهم سوى المجابهة الثقافية.

في هذا النوع من المجابهة يسعى الأعداء إلى التغلغل ـ وباسم الدين ـ في المراكز الثقافية والدينية، ثم يلاحظون ما هي الطرق المناسبة لمقتضيات الظروف الزمانية، للقضاء على الإسلام، فإن لم يستطيعوا تحقيق ذلك بشكل علني، يحاولوا طرح مواضيع أُخرى باسم «التحقيقات الجديدة» و«الإسلام الحديث» وغيرها، حتى يحطموا أُسس الاعتقادات والقيم الإسلامية؛ لأنهم يعلمون أنّ الخطر الرئيسي على حياتهم ومصالحهم هو الإسلام الحقيقي والاعتقاد بقيمه، فلذلك يحاول الأعداء اليوم القضاء على الملامح الإسلامية لثورتنا التي ظهرت في الكثير من الدول الأُخرى، وستنتشر بشكل سريع حتى في قلب الغرب ودوله. ويقولون: يجب أن لا تنتشر هذه الأفكار والاعتقادات في مجتمعنا الغربي وإذا أمكن يجب القضاء عليها وهي في النطفة.

إنّ من الطرق التي يستخدمها الأعداء في مواجهة الثقافة الإسلامية السعي إلى طرح أفكار وعقائد في المجتمعات الإسلامية، تؤدي إلى ترك هذه الشعوب لعقائدها وتقاليدها الإسلامية، فإذا لم يستطع الأعداء ذلك فإنهم يحاولون تغيير هذه العقائد الإسلامية، فإذا لم يتمكنوا من ذلك أيضاً يقوم العدو عندئذ بإجبار ذوي الفكر الظاهري إلى إلقاء بعض الأفكار الخاطئة في المجتمع، بأن يقولوا: لم يكن عندنا لحد الآن أي تقدم ونمو فكري وكنا خاطئين، أما اليوم وقد تطورت ثقافة المجتمع وعلومه وفلسفته، فهمّنا أنه لا

يمكن الوصول إلى معرفة يقينية في أي شيء، وأن جهاز التقيم عندنا ليس له أي أساس عقلي ولا ثبات له أو استمرار، فإذا استطاع العدو أن يُقنع الشعوب بقبول هذه الأفكار، وأن يجعل المسلمين يشكون في عقائدهم وقيمهم، فإنّ ذلك يؤدي إلى ارتياح الأعداء الكامل؛ لأنه مقدمة لتحقيق أهدافهم الاستكبارية الأُخرى. فالهجوم الثقافي إذن: هو إراءة وعرض مجموعة من النظريات الفلسفية ونظريات المعرفة ومعرفة الوجود بعنوان المسائل الفلسفية الحديثة. فيقولون: لا يمكن سد طريق الفكر، ولابد أن تطرح المسائل الفكرية الحديثة في المجتمعات الثقافية؛ لكي يتم مناقشتها وتحليلها بشكل محايد، فهذا هو الفن الذي يستخدمه الأعداء لإضعاف عقائد وأفكار الناس.

فيقول الأعداء: لا تتمسكوا بالمسائل الدينية إلى هذا الحد، واتركوا هذه القيود جانباً، فأحياناً لا يكون الذنب الصغير شيئاً، بل يعتبر انحرافاً بسيطاً.

فالغزو الثقافي هو أمر أصيل عند العدو، ويحدث هذا الغزو بالاستعانة بالأدوات والوسائل الدعائية والفنية، وتُدعم هذه المواضيع والأفكار الغربية تدريجياً إلى الحد الذي تصبح تبحث فيه بشكل علني، في المحافل العلمية والأكاديمية، وتكرر هذه المواضيع وتطرح أيضاً حتى على الفئات الأُخرى من المجتمع التي ليس عندها قدرة التفسير والتحليل العقلي العميق للمواضيع وبالتالي يؤدي ذلك إلى إضعاف العقائد والقيم الإسلامية عند بقية الناس. ولهذا ستتغير هذه المفاهيم الإسلامية تدريجياً في المجتمع، فيهتم الناس بالمسائل

الشخصية والجنسية بدلاً من التضحية والإيثار وغيرها من القيم، فيتراجع الشباب المسلم قدماً بعد آخر إلى أن يقفوا إلى جانب المهاجم الثقافي.

إن من أشكال الهجوم الثقافي أيضاً، هو نشر وتبليغ مواضيع أُخرى مثل موضة الملابس وتغيير شكل الحياة لتتلائم مع أفكار الأعداء، فمثلاً إنكم لا تجدون الآن في الأسواق قميصاً غير مكتوب عليه بالإنجليزية أولم ترسم عليه صور الفنانين أو صور الحيوانات، فعندئذ تطرح هذه الأسئلة:

هل إنّ الخط الفارسي أردأ من الخط الإنجليزي؟ ولماذا يكون للثقافة الأجنبية هذا القدر من النفوذ في الجمهورية الإسلامية وقاعدة الثورة الإسلامية في العالم؟ فالهجوم الثقافي هو الذي يُبعدنا كثيراً عن هويتنا وعقائدنا، وكأنه ليس عندنا أي ثقافة ولا علم ولا لغة ولا خط.

أهمية المجابهة مع الهجوم الثقافي:

إنّ المسألة الأخيرة المثيرة للاهتمام في هذا البحث هي: ما هي وظيفتنا لمجابهة الهجوم الثقافي؟ الحصول على إجابة عن هذا السؤال بالنظر إلى أبعاد الهجوم ليس صعباً للغاية؛ لأنه عندما علمنا الطرق التي يحصل بها الهجوم الثقافي، تتحدد بذلك النقاط التي يهجم منها المهاجم الثقافي، ومن ثم يمكننا أن نتخذ موضعاً مناسباً مقابله إذا كنا حذرين وغير غافلين عنه، وفي هذه الحالة تكون وظيفتنا الأُولى أن ندرك فداحة الخطر بشكل صحيح، ولا نتصوّر أنّ

المسألة بسيطة، ولابد أيضاً أن نلتفت إلى أنّ العدو يريد محو هويتنا كشعب مسلم، وسلب ديننا الذي يعتبر أكثر مظاهر الوجود قيمة، ويريد محو عقائدنا الأخلاقية التي يجب أن نضحّي بأرواحنا للمحافظة عليها، وجعل تربيتنا الاجتماعية والعائلية والفردية ـ التي تعتمد على علاقة الأب والأُم والرجل والمرأة، والدولة والشعب ـ كلها تحت تأثير ثقافته، لذلك يجب علينا أن ننتبه إلى أنّ هذا الوضع لو استمر طويلاً فلن يكون لجيلنا القادم، لا إيمان قوي، ولا معرفة يقينية، ولا نظرة واضحة عن العالم، ولا قدرة قوية على التقييم، ولا سلوك ثابت ناشئ عن هويته الثقافية.

لهذا يجب علينا أن ندرك هذا الخطر جيداً حتى نعلم ما يجب عمله لمواجهة ذلك الخطر، ويجب حتى على أولئك الذين ليس عندهم ارتباط بالقضايا الإسلامية ـ لأجل وطنيتهم على الأقل ـ أن لا ينسوا قيم بلدهم ولا يعملوا على نشر ثقافة العدو بتقليد المظاهر الثقافية للغرب في موضة الملابس والأفلام وسائر الأُمور المشابهة لذلك. ولابدّ أن يكون طلاب الجامعات الأعزاء ـ بشكل خاص ـ أكثر حذراً ويسعوا إلى نشر الثقافة والقيم الإسلامية، فقيمة الجهاد لا تكون إلاّ في هذا الطريق. إذن لابد من الدراسة والبحث في هذا المجال، وتقع المسؤولية الكبرى في توضيح هذه المسائل جيداً على عاتق الطلبة الجامعيين أكثر من بقية الناس؛ لأنّ العدو يحاول دائماً بمؤامراته وحيله الشيطانية النفوذ داخل المجتمع حتى يعمل على إضعاف وزلزلة عقائد الناس

وفي هذه الحالة ستذهب دماء الشهداء التي سالت في هذا الطريق هدراً.

لقد فهم الأعداء جيداً ـ ومنذ زمن طويل ـ أنّ الثقافة الإسلامية هي الوحيدة القادرة على مقاومة العدو بقوة، لذا قرّروا منذ أكثر من قرن مواجهتها والسعي إلى إخفات بل إطفاء نورها وجعلها عديمة التأثير فخططوا في الدول الإسلامية على الإيحاء بأنّ الإسلام لا يمتلك القدرة الكافية على التأثير، ولهذا رأوا أنّ أفضل الطرق لمواجهة الإسلام، هو تحديد الإسلام بالمعابد والمساجد فقط، كما هو حال المسيحية اليوم في أوربا، حيث منع الإسلام من التدخل في أُمور الحياة الاجتماعية والسياسية، وهذا ما يسمى (مسألة فصل الدين عن السياسة أو العلمانية)[1].

لقد حققت تجربة فصل الدين عن السياسة نجاحات كبيرة جداً في أوربا فتوقع الأعداء أن تحصل هذه التجربة أيضاً على نفس النجاحات في إيران، إلاّ أنّ ظهور سماحة الإمام الخميني قدس سره ذلك الإنسان الإلهي الذي وقف في مواجهة هذه الخطة، وجعلها تذهب إدراج الرياح في الدول الإسلامية.

لهذا فإنّ الأعداء يعادوننا اليوم، كما كانوا يعادون الإمام الخميني قدس سره بسبب هذه المسألة، وإلاّ فإنهم كانوا يحترمون الإمام لا إرادياً ومن صميم القلب؛ لأنّ عظمة الإمام كانت بشكل بحيث يخضع لها كل إنسان يقف أمامه

---

(١) Secularism (المترجم).

إذن فسبب عدائهم هو أنّ طريقة الإمام الخميني قدس سره كانت في تضاد كامل مع أهدافهم الاقتصادية والسياسية، ويرون اليوم أيضاً نموذج الإمام غير القابل للمساواة في خَلَفِه الصالح قائد الثورة الإسلامية وهذه هي أكبر مشاكلهم في الوقت الحاضر.

فلقد كان الأعداء يحاولون السيطرة بنحو ما على كلّ ثورة ويسقطونها بشكل ما، ثم يحاولون في النهاية مساومتها، ثم إبعادها عن أهدافها، لكنهم عجزوا عن ذلك بالنسبة لثورتنا الإسلامية، فأصبحت هذه الثورة غير القابلة للمساومة وباءً عليهم غير قابل للعلاج، ومن هذا يتّضح سرُّ محاربة الأعداء لنا وعدائهم ومهاجمتهم الثقافية لمجتمعنا وثورتنا الإسلامية.

وهناك سبب آخر يمكن إضافته أيضاً: هو أنّ أمريكا تعتبر اليوم من أكثر دول العالم فساداً من ناحية المواد المخدرة، والمشروبات الكحولية والقتل والجريمة وتفكّك الأُسرة، فلم يبلغ عدد حالات القتل والجريمة في أي دولة ما بلغه في أمريكا، لذلك منعت الدولة بيع وشراء نوعين من السلاح في هذا البلد بسبب ارتكاب الكثير من الجرائم والقتل، وما زال هناك أكثر من ستين نوعاً من السلاح يباع بحرية.

وأخيراً فقد أصدر رئيس بلدية نيويورك الأوامر إلى الشرطة، لمراقبة الشوارع المحيطة بالمدارس بدقة عند بدء وانتهاء الدوام، حتى يتمكن التلاميذ من الذهاب إلى مدارسهم والخروج منها بسلام، أي أنه لا يجرؤ تلاميذ أمريكا

على الذهاب إلى المدرسة، فإمّا أن يُخطفوا أو يقتلوا أو يجرّوا إلى مراكز الفساد، فيدمنون على المواد المخدرة أو يعتدى عليهم جنسياً. لذلك تجد الكثير من صفوف المدارس في أمريكا خالية؛ لعدم توفر الأمن لتلاميذ هذه المدارس.

لقد انتشرت في العالم الغربي أيضاً مسألة تعرض الآباء والأجداد جنسياً لأبنائهم، حتى أصبح ذلك شائعاً جداً، فقبل فترة عرض فلم في ألمانيا، يظهر فيه شاب في سن الثالثة عشرة قد قتل أباه وأمّه وتمت محاكمته، فسألوه في المحكمة لماذا قتلت أباك وأمك؟ ما هو هدفك من هذا العمل؟ أجاب: منذ أن وعيت، أتذكر أني كنت أتعرض للتجاوز الجنسي من قبل أبي، وقد كان يفعل ذلك بي أمام أمي، ولهذا السبب قد امتلأ قلبي حقداً وكراهية على أبي وأمي حتى تمكنت من قتلهما. هذه هي الثقافة الغربية التي يريدون تصديرها إلينا!!

ما هي وسائل الغزو عند الأعداء؟

هناك وسائل متعددة يستخدمها الأعداء للوصول إلى أهدافهم، بسيطة في ظاهرها، لكن يكمن وراء كل واحدة منها الكثير من الخطط العلمية التي لا ندركها، وللأسف الشديد أننا لا نملك وعياً ثقافياً جيداً رغم ما نملكه من الوعي السياسي العميق، ولم نتطور في المجال الثقافي بالمقدار المطلوب بعد الثورة والآن ليسأل كل واحد منا نفسه: ما هي العوامل الباعثة على إيجاد هذه الروحية في شاب في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره، وهي أن يتوسل إلى والديه أن يسمحا له بالذهاب إلى الجبهة ويربط القنبلة اليدوية على جسده ثم يرمي بنفسه تحت الدبابة.

ولماذا يشترك في الجبهة كل هذا العدد الهائل من الشيوخ والشباب في الثالثة عشرة، والرابعة عشرة وحتى السبعين والثمانين من أعمارهم؟ إنّ الاعتقادات والقيم هي التي تدفع شبابنا إلى ساحة الجهاد، فقد كانوا يقولون: إذا أصبحنا شهداء نذهب إلى الجنة وإلى لقاء الله، إيماناً منهم بوجود الله والعالم الآخر، وأنّ هذه التضحيات لها أجر وثواب وبها يصل الإنسان إلى محبوبه.

فماذا يفعل الأعداء لكي يتمكنوا من سلب هذه الروحية منا؟ إنّ أفضل طريق يمكن أن يسلكه الأعداء، هو أن يسلبوا الإيمان من المجتمع وأن يبدّلوا يقين المجتمع بعالم الآخرة، وبالحساب والكتاب وبما وراء الطبيعة إلى شك لأنّ الإنسان الذي عنده شك بالله وعالم الآخرة والجحيم لا يقدّم التضحيات.

إنّ استئصال الإيمان وإيجاد الشك هي إحدى وسائل الغزو الثقافي:

ظهرت بعد الثورة الإسلامية بعض الأيادي التي تسعى إلى إلقاء الشك بين الناس، ففي الجامعات مثلاً يشمّر هؤلاء عن سواعدهم لإلقاء الشك بين الطلاب وبطرق مختلفة، فمثلاً كانوا يقولون: «**من فوائد الجهل**» أو يقولون: «**الإنسان الذي ليس عنده شك، جاهل**».

فليس هناك طريق لأمريكا والقوى الكبرى أفضل من أن يسرقوا ويُبعدوا الإيمان من قلوب الناس دون الحاجة إلى حرب أو قتال، ولا صرف الأموال أو تهييج المشاعر المضادة للعدو بين الناس، ويمكن القيام بهذا العمل ببساطة بواسطة: الخطب العلمية، والكتب الفلسفية، والأفلام والمسرحيات وأشياء أُخرى باسم التطور العلمي والرُّقِيّ الثقافي، والفلسفة الجديدة و.... .

ولا يتطلب زرعُ الشك بين الناس جهداً كبيراً، كما في المثل الذي يقول: (**يرمي مجنون حصى في حفرة فلا يستطيع إخراجها أربعون عاقلاً**). فإيجاد الشك ليس أمراً صعباً، وبواسطته يتمكن الأعداء من محو الرصيد الإيماني الذي تَمَّ تثبيته وترسيخه في قلوب الناس نتيجة لجهود بذلت طيلة مئات السنين وكذلك يتمكن الأعداء بإيجاد الشك أن يمحوا حتى ثقافة المجتمع التي هي ثمرة المساعي المتواصلة التي بذلها الشعب لقرون عديدة.

إنّ شعبنا الثوري لم يصنع دفعة واحدة، بل صنعته هذه الحسينيات

وصرخات حسين حسين، لمئات السنين، وإلاّ فهم لم يصبحوا عاشقين كربلاء اعتباطاً، فهذه العقائد والقيم لم تظهر بين ليلة وضحاها، بل وجدت من التعليم المستمر لقرون عديدة وبتدبير إلهي، وإنّ هذا التدبير قد علّمنا إياه الأئمة الأطهارعليهم السلام أيضاً. والأعداء بإيجادهم الشك بين الناس يُذهبون بكل ذلك إدراج الرياح، بين ليلة وضحاها، ومع ذلك فهناك كثير من الأفراد يقولون بتبجح: «نعم، إنها أفكار جديدة ولا يجب أن ننطوي على أنفسنا أكثر من اللازم، بل لابد أن نرى ماذا قال العلماء الغربيون، فلم يرتكب الغرب ذنباً، أليس الغرب هو الذي قدّم كل هذا العدد الهائل من العلماء إلى المجتمع؟».

نحن لا نخالف الغرب والعلم الغربي والصناعة الغربية والمغرب الجغرافي بل نحن نخالف هذه الثقافة التي ذكرنا نماذجها، وإلاّ فإنّ أكثر العلماء الغربيين المعروفين الآن هم من المهاجرين الشرقيين.

إنّ الكثير من العوائل في ألمانيا ٧١لا يسجلون زواجهم رسمياً، ويقولون للبلدية: إنّ طفلنا من الحرام حتى يستفيدوا من أموال البلدية؛ لأنّ البلدية هناك تمنح مالاً للشخص الذي يعيل طفلاً من الحرام، ولهذا يقوم الأب والأُمّ بإظهار أنّ زواجهم غير شرعي، ويعرفون أبناءهم على أنهم من الحرام حتى يحصلوا على المال من الدولة. فعلى هذا، كم يوجد من الأطفال الحرام؟ إلى ما شاء الله فهل يمكن أن نتوقع ظهور علماء مثل «انشتاين» بين هؤلاء الأطفال؟ هذا هو نموذج الثقافة الغربية.

حتى إنّ دبلماسيي أوربا وأمريكا ليس عندهم من العلم بقدر تلاميذ المرحلة المتوسطة عندنا، وهم لا يفهمون حتى الأعمال الأربعة الأساسية.

وهؤلاء الدبلماسيون لا يستطيعون إجراء عملية رياضية بسيطة بدون حاسبة، فقد انقضى الزمان الذي يستطيع فيه الغربيون تربية العلماء والعقول المفكرة، حتى إنّ أغلب العلماء الموجودين في أوربا وأمريكا هم من الدول الشرقية. لهذا فإني أطلب من الأساتذة ومثقفي مجتمعنا دراسة هذه المواضيع بدقة.

في الآونة الأخيرة، قال أحد المسؤولين في مكتب ممثلية إيران في مجلس الأمن: «عندنا إحصائيات تشير إلى أنّ عدد الأساتذة الإيرانيين الذين يدرسون في أمريكا، هم أكثر من عدد كل الأساتذة الذين يدرسون في إيران، من غير الذين يعملون في كندا، والدول الأوربية وبقية الدول الأُخرى».

قبل حوالي سنتين أو ثلاث سنوات، أعلن رئيس وزراء كندا أنّ لإيران ما يقارب الخمسة وثلاثين ألف أخصائي في كندا، بحيث لو ذهبوا من كندا لما أُمكن ملء مكانهم حتى باستثمار المليارات من الدولارات وأنّ معاون وزير اقتصاد كندا إيراني الأصل، وحتى بعض العلماء الكبار الذين يعملون في الصناعات الحربية السرية الأمريكية (ناسا) هم من الإيرانيين. فلا يجب أن نتصور أنهم خرجوا من لا شيء، بل هم أبناؤنا ذهبوا إلى هذه الدول تحت تأثير الإغراءات الكبيرة، فبقوا هناك وتعودوا على البيئة والحياة فيها، والكثير منهم

نادمون الآن ويرغبون بالعودة إلى إيران.

بعض الأساتذة الإيرانيين الممتازين المتفوقين في الدول الغربية، قالوا لي في المؤتمر الذي عقد مؤخراً في (فيلادلفيا): نحن نادمون جداً لأننا هنا، وكنا نتمنى ومنذ اليوم الأوّل لمجيئنا أن نتمكن من العودة إلى إيران لكن للأسف لا نستطيع ترك أبنائنا؛ لأنهم قد تزوجوا واستقرّوا في هذه الدول.

ونحن أيضاً نستطيع أن نصبح مثل الغربيين إذا اجتهدنا ودرسنا واعتمدنا على أنفسنا. ولابد أن نصدق أننا سبب تطور الغربيين وورنق عملهم، وأنهم هم الذين يحتفظون بنفطنا وعقولنا المفكرة.

نسأل الله تعالى الذي وفقنا بلطفه ورعايته بتأسيس دولة مستقلة حرّة في هذا العالم المضطرب، وأن نخرج من هذا الطوفان الإنساني العظيم وننظم هذه الثورة العظيمة لتكون قدوة ومناراً لبقية دول العالم، نسأله أن يتم علينا بإحسانه هذه النعمة ويزيد من رؤيتنا ومعرفتنا؛ ويزيد إيماننا بالإسلام والمعارف والقيم الإسلامية، وأن يرفع درجات الإمام الراحل يوماً بعد آخر، ويترحم علينا بسلامة وعزة وتوفيق خليفة الإمام، قائد الثورة، ويترحم علينا بتوفيق الجميع لخدمة هذا النظام الإسلامي، وأن يوفقنا للشكر أكثر فأكثر.

الثورة الإسلامية وخطر الغزو الثقافي

الغزو الثقافي أكبر خطر على الثورة:

ليس عندنا بحث وكلام مع الشخص الذي يقول: إنّ الثقافة جيدة مطلقاً وليس فيها رديء، أو يقول: لا يمكن مواجهة الغزو الثقافي وهو من الضرورات الاجتماعية. بل إنّ تصورنا ـ بعد قبول الفرضيات الأولية ـ هو أنّ مجتمعنا الثوري والإسلامي يواجه اليوم أكبر خطر في حياته؛ لأنّ العدو بدأ بالاستفادة من الغزو الثقافي لتحقيق أهدافه، بعد أن يئس من إخضاع مجتمعنا بالطرق الأُخرى فنراهم يسعون بكامل قدراتهم إلى مواجهة ثقافة هذا المجتمع ويعملون على محوها والقضاء عليها؛ لأنه إذا تغيرت الثقافة فذلك يؤدي إلى تغير كل شيء في المجتمع.

وتطرح هنا هذه الأسئلة: هل يوجد عداء بيننا وبين الشعب الأمريكي؟ أو أننا نخالفهم لأنهم أهل قارة أُخرى؟ والجواب: كلا، نحن نقول: إذا كان يوجد عداء بيننا وبين شخص آخر، فهو بسبب روحه الاستكبارية وحبّه للتسلط وظلمه وثقافته الفاسدة والمدمرة وغير الإنسانية والشيطانية ونقول: يجب اتباع الحقّ وحمايته أينما وجد، ومجابهة الباطل ومجانبته أينما وجد.

فلو كانت أمريكا من مدافعي حقوق البشر حقاً، فلماذا تغض النظر عن حقوق البشر في فلسطين ولبنان والبوسنة والهرسك والكثير من الدول الأُخرى؟

إن هذه ثقافة نسبية ومصلحية، والإسلام لا يقبل شيئاً كهذا.

فإذا حدث أن تمايلت أفكارنا نحو ثقافة الغرب، وظهرت في مجتمعنا أُمور تسحب أفكارنا وقيمنا ومعارفنا نحو المصلحية، فلابد أن نعلم أننا قد تعرضنا إلى هجوم ثقافي.

عناصر الثقافة الثلاثة:

توجد في الإسلام مجموعة من العقائد اليقينية، أي المطابقة للواقع والتي يجب أن يكون عند الأفراد يقين بها: ﴿وَبالآخرَةَ هُمْ يُوقنُونَ﴾؛ بل إنّ اليقين بالغيب هو شرط الإيمان: ﴿الَّذينَ يُؤْمنُونَ بالْغَيْب﴾[1] ﴿وَبالآخرَةَ هُمْ يُوقنُونَ﴾، فإذا ظهرت ثقافة تقول: لا يمكن اليقين بهذه العقائد، بل لا يمكن الحصول على يقين حتى في المرئيات، فهذا الكلام لا يتلاءم مع ثقافتنا الإسلامية، فالقرآن يقول: ﴿الَّذينَ يُؤْمنُونَ بالْغَيْب﴾ ﴿الَّذينَ يُؤْمنُونَ بالْغَيْب﴾، ولكن هناك أشخاص يقولون: لا يمكن أن يحصل اليقين عند البشر مطلقاً فكيف باليقين بالغيبيات.

فإذا كانت المسائل الغيبية موجودة، وهي كذلك، فإذن يكون الهجوم الذي نتعرض له هو هجوم ثقافي، لا هجوم على الآداب والتقاليد أو على شكل الملابس والموضة؛ لأنها ليست العناصر الأساسية للثقافة. لعل واحداً من

(١) البقرة: ٣.

الخمسمئة تعريف التي ذكرت للثقافة يشتمل على الآداب والتقاليد.. أيضاً لكن ليس هذا موضوع البحث.

فإذاً لابد أن نوضح ونحدد ما نقصده بالثقافة، فإذا وضع مجموعة من الأفراد خمسين عنصراً مع بعض، وقالوا: نحن نطلق على هذه العناصر اسم ثقافة ثم قالوا: إنّ واحداً من هذه العناصر ليس مهماً عندنا، فعندئذ كلما أراد هؤلاء الناس مجابهتنا طرحوا ذلك العنصر غير المهم، حتى يجعلوا التسع والأربعين عنصراً الأُخرى بلا معنى.

فإذن لابد أن نكون واعين منذ البداية، ونوضّح لهم أن للثقافة معاني واسعة، وهذه المعاني تشمل أيضاً الآداب والتقاليد، وهي ليست موضع البحث لأنّ ما نقصده بالثقافة ليس الآداب والتقاليد، لذلك لابد أن نحدد أولاً محل النزاع لكي نتمكن من مناقشة العدو، واتخاذ الموضع المناسب أمامه، وحتى نتمكن من تحديد النقاط التي يريد العدو الهجوم منها، وثم إحباط هجومه وأهدافه باتخاذ الموضع الصحيح والمناسب.

فالأعداء يقولون أحياناً: إنّ الثقافة تعني جهة التمايز بين المجتمعات بعضها عن البعض الآخر، ولهذا التعريف معنى خفي؛ لأنّهم يريدون القول: لا يمكن أن تكون هناك ثقافة واحدة لمجتمعين؛ لأنّ الثقافة تعني التمايز بين مجتمعين فأنتم لا تستطيعون تحقيق ثقافة واحدة لكل العالم لأنّ تعدد المجتمعات أمر ضروري، وسيكون لكل مجتمع ثقافته الخاصة لهذا لا يمكن تحقق الوحدة

الثقافية، فكيف تريدون تطبيق الثقافة الإسلامية في أنحاء العالم كافة؟ لأنّ الآداب والتقاليد هي جزء من الثقافة فلا يمكن أن يلبس شعب القطب الشمالي مثل ما يلبس الناس في منطقة خط الاستواء، فإذن لا يمكن أن تكون ثقافتهم واحدة، فهذا يعني أنّ لكل مجتمع ثقافته الخاصة، ويجب أن لا نسعى بلا فائدة لتحقيق ثقافة واحدة في العالم.

وهنا يطرح سؤال: من أين نشأت هذه المغالطة؟ لأنهم اعتبروا مفهوم الثقافة يشمل الآداب والتقاليد المحلية، بل جعلوها العنصر الأساسي والمحوري للثقافة.

نحن نعتقد أنّ المحور الأساسي للثقافة هو الاعتقادات والعقائد المتعلقة بالله والإنسان، وكذلك ارتباط الإنسان بالله والعالم والطبيعة، أي أُصول الدين التوحيد والنبوة والمعاد، فهذه الأُصول هي العنصر الأوّل من عناصر ثقافتنا ولنضع لها اسماً جديداً هو فلسفة معرفة الرؤى الإنسانية أو فلسفة علم الوجود.

والعنصر الثاني لثقافتنا هو القيم والأعمال الحسنة والسيئة، والإسلام يعرض لنا مجموعة من الأعمال الحسنة والسيئة، الثابتة والأبدية، وهذا لا يعني أنّ الأحكام لا تتغير في أي زمان ومكان، فالأحكام أُمور جزئية ومتغيرة، وما نقصده من القيم الثابتة هو الأُصول القيّمة والأساسية.

أما العنصر الثالث لثقافتنا فهو طرق السلوك الخاصة المستنتجة من تلك الرؤى والقيم.

فهذه هي العناصر الأساسية لثقافتنا الإسلامية، أي أنّ ما نعتقد به هو الذي يحدد لنا الحسن والسيئ ويحدد سلوكنا كذلك. وهذه العناصر الثلاثة هي نفس أُصول الدين، والأخلاق والأحكام الإسلامية فليس للهجات والملابس المحلية المتنوعة وكيفية النطق أي ارتباط بالثقافة، فالإسلام لم يعين للأبد اللغة التي يتكلم بها الإنسان، أو الملابس التي يرتديها، بل عيّن أصلاً كلياً محدداً، وهو أن الإنسان يجب أن لا يكون تابعاً لأعداء الله ويتلوّن بلون العدو بل لابد أن يحافظ على استقلاله وثقافته؛ لأنّ الإسلام لا يهتم بنوع الملابس وشكلها، التي قد تكون دليلاً على الاستقلال في زمان ما، إلاّ أنها ليست العنصر الأساسي لثقافة الإسلام.

التصور الخاطئ عن الثقافة الإسلامية:

يتصور البعض أنّ الثقافة الإسلامية تعني أن يرتدي جميع الناس لباس رجال الدين، وهذا خطأ؛ لأنّ الملابس دليل على فئة معينة من الشعب حيث تقتضي المصلحة أن يتميزوا عن الآخرين في المجتمع، فمثلاً يكون للعسكري ولعالم الدين لباسهم الخاص.

فالثقافة الإسلامية لا تعني أن يلبس الجميع العباءة والقباء ويضعون العمامة على رؤوسهم، حتى يقول البعض: إنّ هذا اللباس غير مناسب لكل العالم، فلا يمكن إذن تطبيق ثقافة واحدة في كل العالم.

إنّ الثقافة الإسلامية تعني، الاستناد على عناصر الثقافة الثلاثة التي ذكرناها سابقاً، ولهذا لابد أن نرى هل بقيت هذه العناصر الثلاثة محفوظة في مجتمعنا؟ الحمد لله، نعم ما زالت محفوظة في المجتمع إلى حدّ ما. لكن هل يتهددها خطر؟ للأسف، نعم يوجد خطر جدّي، وهجوم حتمي تتعرض له.

هدف العدو الأساسي من الغزو:

يمكن تحديد أهداف العدو التي يرمي إليها من الغزو، من خلال عناصر الثقافة الأساسية، فطبق الآية: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ نعرف أنّ أحد أهداف العدو هو إضعاف اليقين عند الناس وفي المجتمع، فالعدو يقول هذه العبارات: «اليقين هو كلام الدوغماتيين، والجهال فقط هم الذين يتحدثون عن اليقين، لا يتحدث أي أحد في العصر الحاضر عن اليقين الجهّال فقط هم الذين يظنون أنه يمكنهم الوصول إلى يقين في شيء ما ولو درسوا وتعلموا لفهموا أنه لا وجود لليقين».

هذا هو كلام العدو، فماذا سيحدث لو حدث مثل هذا الهجوم على عقائدنا؟ فهل سيبقى شيء من الإسلام؟ ولنفرض أننا جميعاً لبسنا العمامة والقباء، لكن فقدنا اليقين بالله، والآخرة والنبوة، ... فهل تبقى صورة الثقافة الإسلامية محفوظة؟

وهل إنّ حفظ الثقافة الإسلامية، يعني أن نطيل اللحية ونلبس العباءة والقباء، أو أن تلبس النساء العباءة السوداء والنقاب، من غير أن يوجد في قلوبنا

إيمان بالله والقيامة؟

يقول العدو: إنّ القيم الأخلاقية أُمور اعتبارية، ليس لها برهان وغير قابلة للإثبات، بل إنّ القيم الأخلاقية مجموعة من الأُمور التوافقية النسبية فكل مجتمع يقبل مجموعة من الأمور في وقت ما ويعتبرها جيدة ويرفض هذه الأُمور ويعتبرها سيئة في وقت آخر، فمثلاً، كان تغطية جسد المرأة عملاً مرغوباً فيه في المجتمع الأوربي، وكما نلاحظ ذلك في الأفلام المتعلقة بالقرون السابقة، حيث إنّ النساء الأوربيات كنّ يلبسن الملابس الطويلة التي تصل إلى القدم، لكن أوربا اليوم تستحسن التعري والملابس القصيرة، والسبب هو أن المجتمع الأوربي كان يستحسن ذلك الشكل من الملابس، واليوم يستحسن هذا الشكل.

في الماضي كانت أسوأ الشتائم أن يقال لأحد «**مَثَليٌّ الجنس**» لكننا نجد اليوم في ما يسمى بالمجتمعات المتمدنة، التظاهرات الكبيرة التي تقام لتأييد المثلين الجنسيين.

ونلاحظ من الإحصائيات الموجودة في الدول الغربية وخاصة كندا وأمريكا وبريطانيا، أن أكبر وأكثر التظاهرات عدداً هي تلك التي أُقيمت لتأييد المثلين الجنسيين، وقد شاهدت بنفسي بعضاً من هذه التظاهرات فاليوم يعتبرون هذه المسألة من القيم ومخالفتها تعني مخالفة للقيم.

إنّ القيم هي أُمور نسبية ومتغيرة واعتبارية وليس لها جذور، ولا يمكن

إثباتها بالبرهان، وأن مقدماتها جدلية ولا تقبل البرهان كذلك، لو انتشرت هذه الأفكار فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى تحطيم الدعامة الثانية لثقافتنا الإسلامية؛ لأنّ أعمالنا وتصرفاتنا أنّما تأخذ شكلها من تلك الرؤى والقيم، وكذلك قوانينا تستند إلى تلك القيم أيضاً، فإذا تعثرت وتحطمت هذه القيم فإنّ ذلك سيؤدي من باب أولى إلى تزلزل وتحطيم تلك القوانين.

فمثلاً يقول الأعداء: إنكم تعتقدون أنّ العمل الفلاني هو عمل سيّئ ويعتبر ذنباً، ونحن نقول: إنّ الذنب ـ أحياناً ـ لا يكون سيئاً، وإنّما يكون عملاً قبيحاً وانحرافاً بسيطاً، وقد يكون أحياناً عملاً جميلاً، فمن قال:إنّه لا يجب ارتكاب الذنب؟ إنّ هذا ما تقول به المعرفة السابقة، أما اليوم فقد غيّرت المعرفة العلمية معرفتنا بالنسبة للأحكام، ولهذا فإنّ سلوكنا قابل للتغير حسب هذه المعرفة العلمية، فمن قال: إنّ هذه الأعمال تعتبر من الذنوب؟ لم يقل هذا إلاّ رجال الدين الذين جاءوا من الريف ونسجوا لأنفسهم أشياء من الخيال، فقد أثبت العلم، اليوم ما هو العمل الحسن المفيد؛ مثلاً الرقص الفلاني مفيد لسلامة الإنسان، وللموسيقى الفلانية تأثير نفسي مناسب. وهكذا... فعندما تنظرون إلى الحياة والأُمور بهذا الشكل سيتغير كل شيء عندكم.

إذن، الهجوم الثقافي هو الهجوم على هذه العناصر الثلاثة الأساسية للثقافة فعندئذ وحسب هذا التعريف للثقافة يمكننا الإجابة عن سؤالهم: من هم المهاجمون؟ المهاجمون: هم أُولئك الذين يريدون تغيير وإزالة عقائدنا وقيمنا

وتصرفاتنا وأفعالنا الإسلامية، ويريدون جعل القيم أُموراً اعتبارية، بمعنى أن تصبح التصرفات والأفعال متغيرة وتابعة للرغبات والظروف الاجتماعية والزمانية والمكانية، والآن يطرح هذا السؤال: كيف يجب مواجهتهم؟ لمواجهة هؤلاء المهاجمين علينا أوّلاً أن نرى كيف يتصرفون؟ وما هو السلاح الذي يستخدمونه في الهجوم، والمكان المستهدف في الهجوم؟ أي نحاول تحليل أُسلوب عملهم بشكل دقيق.

إنّ مجتمعنا الإسلامي يعلم جيداً أنّ عدونا يستخدم في الهجوم أسلحة كثيرة، منها العلم والثروة والدعاية، حيث يستخدم في حملاته الدعائية أكثر الوسائل والأساليب الدعائية تطوراً، وأنّ هذه الحملات تحدث وطبقاً للتحقيقات الحديثة في علم النفس وعلم الاجتماع. فالأعداء يتصرفون ويعملون طبقاً لخطط علمية دقيقة ومدروسة جيداً فهم يعلمون جيداً كيف يواجهون كل فئة من المجتمع، وأي الأساليب تكون مؤثرة ومناسبة لهذه الفئة، ويعلمون أيضاً كيف يتحدثون مع الرجل والمرأة والشاب والشيخ، والعامل والجامعي والمزارع... فمثلاً عندما يريد العدو إضعاف عقائد النساء يقول لهن: إنّ نهج البلاغة قال: إنّ النساء ناقصات العقول، وأنتم ما تزالون تتمسكون بنهج البلاغة! وإذا أراد العدو أن يبعد الإنسان عن الدعاء والتوسل، يقول له: إنّ مفاتيح الجنان يذكر أنه إذا كانت أسنانك تؤلمك فاقرأ هذا الدعاء حتى يخرج منها التسوس! وبهذه الوسيلة يدفع العدو الإنسان إلى ترك كتاب مفاتيح الجنان، فهم أنما

يريدون بهذا الكلام أن يقللوا من قيمة كتاب مفاتيح الجنان في قلوب الناس، وقد كان أنيساً للإمام الخميني قدس سره. ويريد الأعداء أيضاً أن يأخذوا منا كتاب نهج البلاغة الذي يصفه الإمام الخميني قدس سره بأنه أسمى كتاب في العالم بعد القرآن، ويريدون أيضاً إيجاد الفرقة بين الرجل والمرأة بعد الاتحاد الذي حصل بينهما بعد الثورة الإسلامية.

فالأعداء عندما يريدون إبعاد النساء عن الثورة الإسلامية، واللاتِ كان لهن دور فعّال في جميع الميادين المختلفة للثورة، وحتى سبقنَ الرجال في الكثير من الميادين، كما قال الإمام الخميني قدس سره، فيقول الأعداء لهن: أنتن مسكينات لماذا لا يرسلون هم أبناءهم إلى ساحات القتال؟ أولئك الذين يُمجدون نهج البلاغة الذي يصفكن بناقصات العقول.

فبهذه الطريقة وهذا الأسلوب الذي يستخدمه الأعداء، لن يبقى شيء من الإسلام؛ فإذن يجب أن نعرف الهجوم الثقافي جيداً، لا أن نقول: إنّ موسيقى الجاز تعتبر هجوماً ثقافياً ولابد أن نعود إلى موسيقانا الأصيلة القديمة، فنستخدم الربابة والعود والناي!! فهل هذا هو فهم مدعي الثقافة أم أنهم يتظاهرون بعدم الفهم؟ لابد أن نعرف مَن الذي يطرح هذه المسائل في المجتمع؟ فهل بمجرد ترك البيانو والعزف على الناي، نكون قد عدنا إلى ثقافتنا الإسلامية، وهل تُحل قضية الهجوم الثقافي بهذه الطريقة؟

دور الثقافة في استمرار الثورة:

يعلم المطلعون في بحوث علم الاجتماع أنّ التغيرات الاجتماعية تحدث أحياناً نتيجة للتغيرات الطبيعية والجبرية.

فلو افترضنا أنّ الظروف الاجتماعية والبيئية للمجتمع قد تغيرت بشكل طبيعي، فسيضطر الناس إلى ترك الحياة الزراعية، ويتحولون إلى حياة الصناعة فيما لو كانت الظروف ملائمة لذلك، وإلاّ فإنهم سيعملون في التجارة مثلاً.

فهذا التغير يحدث نتيجة لظروف طبيعية: فمثلاً لو تعرضت منطقة زراعية خصبة للجفاف بسبب قلة الأمطار والظروف غير الملائمة للزراعة، فإنّ ذلك سيدفع الناس إلى إيجاد تغيير في وضعهم الاقتصادي، مما يؤدي إلى تغيير مجتمعهم الزراعي إلى مجتمع صناعي أو تجاري.

وأحياناً أخرى تحدث التغيرات الاجتماعية نتيجة للتحولات الصناعية والتكنولوجية: فمثلاً يخترع العلماء وسائل إنتاجية جديدة ويضعونها تحت اختيار المجتمع، وبظهور هذه الأدوات الجديدة، تتغير طريقة الإنتاج في المجتمع وهذا يعني أنّ توفر وسائل الإنتاج الجديدة بسهولة عند المجتمع يدفع الناس إلى ترك الصناعات اليدوية والحياة الاقتصادية البسيطة، ويستخدمون طريقة جديدة للإنتاج، فيتحوّل المجتمع تدريجياً إلى مجتمع صناعي مثلاً. ولا يكون للناس أي دور في هذا التحول، إنّما حدث نتيجة لتطور وسائل الإنتاج

بواسطة فرد أو مجموعة أفراد، أو نتيجة تطور العلم والصناعة، حيث وضعت هذه الوسائل الحديثة تحت اختيار الناس، ومن الممكن أن تكون الأهداف الشخصية أو تأمين المصالح المادية لأُولئك الأفراد، هي الدافع الأساسي لهم من وراء هذا العمل الناس لا يستطيعون رفض ذلك، فهم مجبورون على استخدام وسائل الإنتاج الجديدة وإلاّ لحصل منافسوهم على فوائد مادية قد تؤدي إلى إفلاسهم.

وهناك أيضاً نوع آخر من التحوّل، وهو ما نطلق عليه «الثورة الثقافية» حيث يحدث هذا التحول في المجتمع عن وعي وإرادة الناس واختيارهم ويحدث بمشاركة كافة فئات المجتمع على عكس (الانقلاب العسكري) الذي يحدث بواسطة مجموعة خاصة من الأفراد.

ففي الثورة الثقافية يختار الناس طريقاً مخالفاً لنظام الحكم، لأجل تحقيق أهدافهم وقضاياهم المقدّسة، فلم تجبرهم الطبيعية ووسائل الإنتاج على الثورة بل إنّ الثورة الثقافية هي تغير سياسي واجتماعي اختاره أبناء الشعب بفكرهم وعقيدتهم، ويسعون ويتفانون بأموالهم وأنفسهم في سبيل تحقيقه.

إنّ هذا النوع من التغير ـ الذي نطلق عليه بشكل عام (الثورة) ـ له ارتباط مباشر مع الثقافة، فمن الممكن أن يكون للعناصر الثقافية تأثير مباشر أو غير مباشر على بقية التغيرات الاجتماعية، فمثلاً تؤدي الثقافة إلى رفع المستوى العلمي للبلد، والتطور العلمي يؤدي إلى ظهور الاختراعات الصناعية الجديدة

وهذه الاختراعات أيضاً تؤدي بدورها إلى تغير وسائل الإنتاج في المجتمع إذن يمكن أن يكون للثقافة تأثير مع الواسطة في التغير الصناعي، لكن في (الثورة) يكون فكر وعقيدة الناس هو الموضوع المؤثر فيها، أي أنّ (الثورة) هي نتيجة مباشرة وبلا واسطة للثقافة.

نعم من الممكن أن تكون هناك عوامل وأسباب أُخرى للثورة، لكن الثقافة تعتبر العامل الأصلي والأساسي لها، فإذا استمر تأثير الثقافة في المجتمع فهذا يؤدي إلى استمرار الثورة أيضاً؛ لأنّ انتشار ثقافة خاصة في المجتمع يقبلها الناس ويسعون إلى تحقيقها، هو سبب رئيسي لحدوث الثورة، فإذا بقيت هذه الثقافة والأفكار والعقائد والقضايا المقدسة التي يقبلها الناس، فهذا يعني أنّ ثقافة المجتمع هي نفس ثقافة الثورة، وسيؤدي هذا إلى استمرار الثورة، أما إذا تغيرت ثقافة الناس اختياراً أو إجباراً، فإنّ ذلك سيعرض الثورة إلى الخطر أيضاً.

كيف تتغير ثقافة المجتمع:

توجد عوامل كثيرة تؤدي إلى نسيان الناس لقضايا الثورة المقدّسة ويعتبر التعلق بلذائذ الدنيا من أهمّ العوامل الأساسية المؤثرة في تغيير الروح الثورية وترك التمسك بالقضايا المقدسة؛ لأنّ التعلق باللذائذ الحيوانية والميول والشهوات والرغبات يؤدي تدريجياً إلى تغيير ثقافة الناس ونسيان القضايا والقيم المقدسة، مما يضعف عوامل بقاء الثورة، فعندما لا يكون هناك سبب لبقاء واستمرار الثورة، فإنّ ذلك سيؤدي إلى ضعفها وتغلغل المجموعات غير

الثورية تدريجياً في الأجهزة التنفيذية، وفي تشريع القوانين، وفي الأجهزة القضائية في البلاد، فيؤدي إلى ترك القيم والعقائد وسيطرة العناصر غير الثورية على القوى الثلاث الحاكمة في الدولة وعندئذ لن يبقى من الثورة سوى الاسم، وقد يتغير حتى الاسم لو تهيأت الظروف لذلك.

من الممكن أحياناً أن تؤثر عوامل الثقافة الأجنبية تدريجياً في المجتمع نتيجة لعوامل ثقافية بحتة، فتؤدي إلى تغيير الثقافة العامة للشعب لأن قبول الثقافة من صفات الإنسان، وهذا يعني إمكانية تغير ثقافته وميوله دائماً بسبب العوامل المختلفة.

إذن لا توجد أيّة ضمانة لبقاء ثقافة معينة في المجتمع؛ لأنّ بقاء الثقافة يرتبط بحب ورغبة الناس فيها، وما أن يفقد الناس هذا الحب وهذه الرغبة ويتوجهون إلى ثقافة أُخرى جديدة، ستضعف الثقافة السابقة تدريجياً وتفقد تأثيرها في المجتمع، ومن البديهي أن يلعب الأعداء الأجانب دوراً مهماً في تحقيق هذا الهدف الخبيث.

وللأسف قد بدأ العدو باستخدام هذه الطريقة بعد أن يئس من تحقيق أهدافه بالطرق الأُخرى، وقد حذر قائد الثورة من هذه المسألة عدة مرات فالعدو إذا وجد الظروف المساعدة، أو قام بنفسه خلق هذه الظروف في المتجمع، واستطاع أن يؤثر في كافة فئات المجتمع، وأن يُضعف الثقافة الثورية الإسلامية في البلاد، عندئذ لا تكون هناك أي ضمانة لبقاء واستمرار الثورة، أي

كما كان انتشار الثقافة الثورية سبباً في تحريك المجتمع وانتصار الثورة، فإنّ انتشار ثقافة أُخرى فسيؤدّي المجتمع إلى فشل الثورة.

إذن فالثقافة لها ارتباط مباشر في حدوث التغيرات الاجتماعية التي تكون من سنخ الثورة ـ وتعتبر عاملاً أساسياً في إيجاد بقائها ـ فظهور الثورة كحركة اجتماعية عامة، مرهون بظهور ثقافة وأيديولوجية خاصة بها، وإنّ بقاء الثورة أيضاً يكون مرهوناً ببقاء تلك الثقافة والأيديولوجية.

فعلاقة الثقافة بالثورة لا تنحصر بالثورة الإسلامية أو الثورة التكاملية المتقدمة، بل حتى الثورات الرجعية لها علاقة مباشرة بالثقافة. فمثلاً لو أدّت ثقافة معينة إلى حصول (ثورة ماركسية) في المجتمع، فهذه الثورة ستبقى في المجتمع ما دامت تلك الثقافة باقية، فلو رأينا أنّ هذه الثورة قد فشلت في بلد ما فإنّما يكون ذلك بسبب فشل الثقافة الماركسية في ذلك البلد، وهكذا الحال في جميع الثورات الأُخرى الحقة والباطلة.

فإذن هذه القضية لا تتطلب استدلالاً مهماً؛ لأننا عندما نفهم معنى الثورة بشكل صحيح، ونفهم أن تغيير رؤى الناس وقيمهم وعقائدهم هو العامل الأساسي لحصول الثورة ـ بمعنى التغيير الحرّ والواعي في المجتمع ـ سنفهم أنّ بقاء الثورة أيضاً مرهون ببقاء هذه القيم والاعتقادات في المجتمع.

لا نظير للثورة الإسلامية:

نحن نعيش الآن في فترة خاصة من التاريخ، لا نظير لها، أو ـ على الأقل ـ قَلَّ نظيرها على مدى تاريخ بلدنا وتاريخ الإسلام، ونحن نحتاط إذ نقول: قَلَّ نظيرها، وإلاّ فبعقيدتي الشخصية أنها لا نظير لها.

فإننا وعلى مرّ تاريخ البلاد لا نجد نظيراً لما حصل في بلدنا في السنوات الأخيرة، ولا حتى في أماكن أُخرى للألطاف الإلهية والعناية الكبيرة التي مَنّ الله تعالى بها على شعبنا، بحدوث تلك الثورة الإسلامية العظيمة وما جلبته من بركات لا تحصى.

بالطبع من الممكن أن تكون هناك نواقص وأحياناً أخطاء، فنحن لا ننكر ذلك، ولكن ما تفضل الله به على هذا الشعب أكثر من أن نستطيع بيانه وتقييمه فهذه النعمة الإلهية العظيمة تشبه ـ مع تفاوت الدرجة ـ الثورة التي تحققت على يد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّها مع ما فيها من العظمة كان فيها أمراض أيضاً، وكما أنها قد جلبت لنا النعمة والبركة، جلبت أيضاً وبنفس المقدار الوظيفة والتكليف على عاتقنا.

كلُّ شيءٍ ذي قيمة أكبر، تكون مخاطره أكثر:

كلّ شيء في العالم إذا كانت قيمته أكبر كان خطره أكثر، ويمكن تعميم هذا الموضوع في الأُمور المادية أيضاً، فمثلاً تكون الجواهر غالية الثمن

والأشياء القيّمة عرضة للآفات، فعيون اللصوص والخونة تكون مركّزة دائماً نحو الأشياء الثمينة والقيّمة، فالمخاطر التي تهدد الأشياء القيّمة في العالم، لا تهدد الأشياء عديمة القيمة، فصاحب الدكان الذي يحتوي على أشياء قليلة القيمة، لا يكون قلقاً من احتمال سرقتها، فإنّ صاحب دكان بيع الخضروات أو البقال، لا يخشى على دكانه من السرقة فيقفل باب الدكان بقفل بسيط ويذهب إلى بيته، لكن بائع الجواهر لا يستطيع أبداً ترك دكانه هكذا ويذهب مطمئناً إلى البيت، حتى إنّ البعض يستخدم في الأماكن التي تحتوي على بضائع وأشياء غالية الثمن، حارساً لحمايتها من السرقة ليلاً، كالبنوك والمتاحف؛ لأنها تحتوي على أشياء ذات قيمة كبيرة.

كذلك الحال في الأُمور الاجتماعية أيضاً، فإذا انتشرت ظاهرة مهمة وكان لها تأثير كبير في المجتمع، فسينهض الأعداء سريعاً لمواجهتها والقضاء عليها لأنّهم لا ينفقون الأموال على الظواهر الاجتماعية غير المؤثرة وقليلة القيمة.

وكذلك يمكن ذكر أمثلة كثيرة في المسائل المعنوية في القصص والروايات، حيث يكون اهتمام الشيطان أكثر بالنسبة للأشخاص الذين يطوون مراتب عالية من التكامل الإنساني، فهو لا يهتم كثيراً بمن كانوا في مراحلهم الأولى ويتعثرون في خطاهم، أما المنحرفون منذ البداية فلا يهتم بهم أبداً فالشيطان يهتم بمن كانوا في خطواتهم الأولى، وعرفوا طريق الحق، وهم جادون في سلوك هذه الطريق، فيستنفد كل طاقته في سبيل إضلالهم، فإن لم

يستطع، سعى للحيلولة دون ممارستهم لنشاطاتهم الدينية.

وتوجد قصص كثيرة في هذا المجال لا يسع المجال لذكرها، لكن نذكر هنا واحدة منها كنموذج.

تنسب هذه القصة إلى المرحوم الشيخ الأنصاري رحمه الله في فترة رئاسته للحوزة العلمية في النجف، وفي الليلة التي كان من المفروض أن تلد فيها زوجته، جاءته النساء من أقربائه وقلن له: من الممكن أن تلد زوجتك هذه الليلة فعليك تهيئة مقدار من الدهن ـ كان هذا متعارفاً في الماضي، ويوجد إلى الآن عند بعض العوائل، أن يعطوا الحامل التي تريد الولادة مقداراً من الدهن لتتناوله وكان هذا أقل مساعدة ممكنة لتقويتها ـ فكان عنده مقدار من مال سهم الإمام فنهض وأخذ ـ حسب قوله ـ تومانين من هذا المال حتى يشتري دهناً لزوجته وعندما أراد الخروج من المنزل، خطر في ذهنه أنه ماذا لو كانت زوجة أحد الطلاب في زاوية من زوايا النجف، تريد الولادة، فهل يكون عند ذلك الطالب مقدارٌ من المال، فرجع وأعاد المال إلى مكانه وعاد إلى عمله، وكلما جاءت النسوة يطلبن الدهن قال لهنّ: لا يمكن ذلك حتى ييئسْنَ.

ونُقِلَ أنه في ذلك الزمان يوجد شخص من أهل المكاشفة، قد رأى في عالم الكشف والشهود أنّ الشيطان قد نشر كمائنه الضخمة وهيأ أنواع وأشكال وسائل الخداع، نسج أشياء من خيوط ملونة بالأخضر والأصفر والأحمر، كان يحملها بشكل حبال وكمائن من هذا القبيل، وعنده أيضاً فخ قوي جداً قد أعدّه

من مجموعة من الحبال الغليظة والمضغوطة مع بعضها، لكن هذا الفخ كان ممزقاً إلى قطع صغيرة، فقال للشيطان: ما هذه؟ فأجابه الشيطان: هذه فخاخي فسأله الرجل: ما تفعل بها؟ فأجاب: أخدع الناس بها، ثم وضح له واحدة بعد الأُخرى: هذا مال، هذه امرأة، هذا مقام.. إلى آخره فقال الرجل: لماذا هذا الحبل ضخمٌ جداً، ولكنه مقطّع؟ فتأوه الشيطان بعمق وقال: منذ حوالي تسعة أشهر نسجت هذا الحبل ووضعت هذا الفخ، لكن في الليلة الماضية وعندما أردت أن أرميه حول رقبة الشيخ الأنصاري، تحرك الشيخ فجأة وتمزق، فسأله الرجل: إذن أي واحد منها لي؟ فيجيب الشيطان: أنت لا تحتاج إلى فخ، كلما دعوتك تأتي؟

أي منذ أن كانت زوجة الشيخ الأنصاري رحمه الله حاملاً، كان الشيطان يفكر أن يضع فخاً للشيخ في وقت ولادة زوجته، ويضطره إلى أخذ مقدار من المال من سهم الإمام حتى يهيئ مقداراً من الدهن لزوجته، فالشيطان كان يسعى لمدة تسعة أشهر، لكي يحقق هذا الأمر، وكاد الشيخ يفعل ذلك، لكنّه نجا في النهاية من الفخ.

نحن لا نقول: إنّ هذه القصة قطعية أو بمثابة الوحي المنزّل، لكنها مع ذلك مفيدة ومضمونها صحيح، ولو أن سندها غير قطعي.

وتوجد في الروايات أيضاً شواهد كثيرة على أنّ الشيطان يهتم كثيراً بالأشخاص الذين عرفوا الطريق الصحيح، ويريدون سلوكه بجدية كاملة ولا

يهتم بالآخرين.

ويُذكر أيضاً في بعض الروايات أنّ البعض سألوا الأئمة الأطهار عليهم السلام؛ نحن نرى أنّ مخالفيكم وأتباع المذاهب الإسلامية الأُخرى يهتمون بالمسائل الشرعية، مثل الصلاة والصوم أكثر من بعض شيعتكم وأحياناً نرى بعض شيعتكم يرتكبون بعض الذنوب فيتعثرون في مسيرهم فما سرُّ ذلك؟ فكان جواب الأئمة عليهم السلام: إنّ أحد أسباب ذلك أنّ الشيطان لا يهتم بالمخالفين لأنهم في الأصل منحرفون وكلما سعوا لا يصلون إلى نتيجة، فلا يهتم بهم الشيطان، أما الشيعة فقد عرفوا الطريق الصحيح، واذا جدّوا وسعوا في عملهم وصلوا إلى نتيجة في ذلك، لذا فإنّ الشيطان يركّز همه عليهم حتى لا يتقدموا في الطريق الصحيح، فنجدهم يرتكبون أحياناً بعض الأخطاء.

لقد كانت هذه نماذج نقلية وتجربية وتصورية حتى نعلم أنّ الأشياء ذات القيمة الأكثر لها أعداء أكثر.

إذن، إذا كنا لا نصدق أن ثورتنا الإسلامية هي واحدة من أكبر الظواهر القيّمة في التاريخ الإنساني، فعلى الأقل لابد أن نقبل أنه قل نظيرها في تاريخ الإسلام، لهذا، من الطبيعي أن يكون لهذه الحادثة القيّمة أعداء كثيرون، فكلنا يعلم العداء الذي أظهره أعداؤنا ضدّ الثورة من زرع الخلافات الداخلية، وشن الحرب المفروضة، والحصار الاقتصادي والمؤامرات الدعائية المستمرة دائماً بل تُصرَف في كلّ يوم ملايين الدولارات لأجل تشديد الدعاية المضادة

لإيران، وقد جرب الأعداء جميع طرق العداء، لكنهم لم يحصلوا على أي نتيجة من ذلك.

هجوم الأعداء الثقافي أكبر خطر على ثورتنا

بحمد الله، قد خرجنا مرفوعي الرأس من بوتقة الامتحان برغم كل المشاكل والأزمات التي تعرض لها، وكان هذا من وسائل تكامل شعبنا، لكن يوجد خطر عظيم مازال يهدد ثورتنا ومستقبلنا بشكل دائم ولا يمكن مواجهته إلاّ بيقظة الشعب والسعي المستمر، مع التضحية المتواصلة لجميع فئات المجتمع، وهو خطر ثقافي بالمعنى العام للكلمة.

وإنّ الضرر الذي يصيب الثورة من هذه الناحية غير قابل للمقارنة مع ما تلحقه الأضرار العسكرية، والاقتصادية والسياسية من خسائر على المستوى الدولي؛ أي من الممكن أن تصيب الآفة أغصان وأوراق الثورة أو تؤدي إلى التقليل من فائدة الثورة وتأثيرها، أما إذا وصلت الآفة إلى جذر الشجرة فلن تبقى بعد ذلك حتى نفكر بأغصانها وأوراقها. وكذلك الحال بالنسبة لثورتنا فأساسها هو اعتقاداتها وقيمها، فإذا استطاع العدو أن يقضي على هذه القيم والاعتقادات فلن يبقى شيء بعد ذلك حتى ندافع عنه، وللأسف ما زالت هذه الآفات موجودة في مجتمعنا وتحاول القضاء على قيم واعتقادات الثورة، ولم يرفع خطرها حتى الآن، بل يزداد يوماً بعد آخر.

لقد كان سماحة القائد المعظم (دام ظله الشريف) يحذّر الشعب دائماً في المسائل المختلفة، وقد حذر وأكد على مسألة الغزو الثقافي أيضاً وبالطبع قد بدأت محاولات في هذا المجال، ولكنها لا تتناسب مع تلك التحذيرات، ولا مع حجم ذلك الخطر، إنّ الكثير من الناس لا يعتقد بفداحة الخطر بالشكل الذي يدركه سماحة القائد وأمثاله، فهم لا يعتقدون بوجود خطر عظيم ضد ثورتنا، بل يتصورون أنها موجة بسيطة وسريعة الزوال، أو هي ظواهر غير مؤثرة وقليلة الأهمية سوف تنتهي سريعاً، أما سماحة القائد وببصيرته الإلهية، كما في الرواية «**إنّ المؤمن ينظر بنور الله**»[1]، فقد أدرك فداحة الخطر، أكثر من أي شخص آخر وهو يسعى جاهداً لصدّ هذا الخطر، ونحن مكلفون أيضاً بإجابة نداء إمام الزمان عليه السلام، ورسول الله صلى الله عليه وآله، بل نداء الله تعالى، ونسير إلى جانب قائدنا المعظم؛ لأنّ ذلك ينبع أيضاً من النداءات الإلهية من رحمته غير المتناهية التي تؤثر كثيراً في الناس لإنقاذ الشعوب الإسلامية.

كانت هذه المواضيع مقدمة حتى نعلم أهمية الخطر الثقافي، باعتباره أهم الأخطار التي تواجه ثورتنا، أما الآن فلابدّ أن نقيّم الأعمال التي أُنجزت في مجتمعنا بعد تحذير سماحة القائد، بنظرنا أنّ بعض الأعمال التي حصلت لمواجهة الخطر الثقافي، لم تستطع تشخيص الألم الأصلي ولم تهيّئ الدواء

---

(١) البحار ٧: ٣٢٣، ح١٦، ط: دار إحياء التراث العربي.

المناسب لهذا الجرح، بل إنها كانت أحياناً تزيد الألم أيضاً، فالعلاج الذي كان يُعرض لمواجهة هذا الخطر كان يزيد أحياناً من شدة الألم وسعة الجرح. فالكثير من المشاكل التي حدثت في هذا المجال كانت بسبب إبهام كلمة الثقافة ومعناها، لذا لابد في المسائل أن نحدد العمل المناسب وكيفية المواجهة قبل الإقدام على أي عمل إصلاحي فيها.

لقد كانت المغالطات الحاصلة في المفاهيم والألفاظ إحدى الحيل الكبيرة للشيطان، التي أوقعت الكثير من مفكرينا في الفخ، فمثلاً يقولون: إنّ مجال الثقافة واسع جداً، أو أنّ القصد من كلمة الثقافة في الشعر الفلاني كانت الشيء الفلاني، أو أن الثقافة تعني في القاموس الفلاني بالإنجليزي أو الألماني أو اليوناني، هذا الشيء... والخلاصة أنّ مجال الثقافة واسع جداً، وإنّ هذا بحث لفظي، ونحن لو افترضنا ذلك وقلنا إنّ مجال الثقافة واسع جداً، ويشمل الفن والآداب والتقاليد المحلية، والرقص والغناء والموسيقى والمسرح وأمثالها... فهل من الممكن أن نقول: إنّ المقصود من الخطر الثقافي الذي حذّر منه قائد الثورة هو تعطيل الرقص المحلي؟ وعندما نقوم بإحياء الرقص المحلي نكون قد واجهنا الغزو الثقافي؟ وهل إنّ قصد الأعداء من الغزو الثقافي هو «أن يقولوا لنا: ارقصوا مثلنا»؟ وهل يجب علينا لمواجهة الغزو الثقافي أن نعرض آلاتنا الموسيقية القديمة ومطربينا ونبدأ بإحياء التقاليد القديمة في كل مكان؟

هدف العدو من الغزو الثقافي، القضاء على القيم الإسلامية:

يقال: إنّ الثقافة تشمل الرقص أيضاً!. لكن ما علاقة هذا الموضوع بمسألة مواجهة الغزو الثقافي؟ إنّ الخطر الذي يهددنا، هو فقدان العقائد وقيم الثورة ونسيان الاعتقادات والأُسس الدينية في مجتمعنا، فهذه العقائد والقيم كانت منسية لسنوات عديدة، وقد أُحييت مرة أُخرى ببركة ثورتنا الإسلامية ودماء الشهداء التي سالت في طريق المحافظة على الثورة، فلا يمكن أن نطلق على إعادة الرقص والموسيقى القديمة أنه إحياء للقيم الإسلامية، فلماذا نسلك هذا الطريق الخاطئ؟ ومن الذي يوقعنا في هذا الخطأ.

فمثلاً يقولون: إنّ أحد مظاهر الهجوم الثقافي هو عرض الأفلام المبتذلة، كالأفلام السينمائية المبتذلة لشركة هوليود، لهذا ولمواجهة هذا الهجوم، علينا أن نصنع بأنفسنا أفلاماً مشابهة لأفلامهم، لكن أقل ابتذالاً منها، أي عندما يرى شبابنا أننا نمتلك أفلاماً مبتذلة عندئذ لا يتوجهون لمشاهدة واقتناء أفلام هوليود! وكأنّ المشكلة هي استيراد الأفلام من هوليود، فعندما نصنع هذه الأفلام بأنفسنا ولا نستوردها نكون قد قضينا على هذه المشكلة!

إنّ مشكلتنا شيء آخر، فالحقيقة أنّ محتوى مثل هذه الأفلام سيؤدي إلى القضاء على القيم والعقائد الإسلامية، وليس على القيم الوطنية والإيرانية فالشاب المسلم الذي كان ينهض ليلاً من حلاوة نومه ويبدأ بمناجاة ربه ويتلذذ

بهذا العمل، ودموعه تجري على وجناته من الخوف أو الشوق إلى ربه، ويمرغ وجهه بالتراب، فعندما يجلس هذا الشاب لمشاهدة الأفلام السينمائية في التلفزيون والفيديو إلى ساعة متأخرة من الليل، فإنه سيترك تدريجياً تلك القيم والعقائد، وعندئذ لا يقوم هذا الشاب في الليل للعبادة والدعاء مرّة أُخرى، ولا يصبح التلميذ مجدّاً في دروسه إذا كان يستأنس ليلاً في مشاهدة أفلام الفيديو والتلفزيون، ولا يصبح مفيداً لحل مشكلة من مشاكل بلده، فإذا أصبح تلاميذنا بهذا الشكل، يضطر المعلمون لإعطاهم درجات النجاح؛ لأنهم لو لم يفعلوا ذلك لفشل جميع التلاميذ في الامتحان والدراسة، حتى إنه يوجد قانون في بعض المراكز العلمية يلزم المعلم أن يعيد النظر في امتحانه ويساعد الجميع عندما تنخفض درجة غالبية طلاب الصف، فيصبح جميع الطلاب كسالى، ولن يظهر بعد ذلك تلميذ ذكي ولا نابغة، ويستمر الوضع هكذا حتى نصل إلى نقطة أساسية، وهي أن يبدأ الجميع بالتشكيك في أهمِّ ضروريات العقائد الدينية. إنّ هذه المواضيع التي طرحناها ترتبط بالعمل والقيم السلوكية.

فعندما يشكك أُستاذ الجامعة في جلسة الدرس بواحدة من أهمّ العقائد الإسلامية الضرورية، وأمام الطلاب المتدينين في الجامعة، بشكل علني وبلا أي خوف أو تردد، ثم لا يتجرّأ أحد على ردعه أو معاقبته ويقول: لا يوجد أي دليل على إثبات وجود الله، فهل تحل مثل هذه المشاكل بإحياء التقاليد الوطنية؟ وهل يمكن مواجهة الغزو الثقافي بإقامة المهرجانات والحفلات

الغنائية؟ فمثل هؤلاء ينكرون أصل الاعتقاد بالله ونحن نسعى للاستفادة من موسيقانا الوطنية بدلاً من موسيقى الجاز، فمن الذي يَخدَع؟ ومن الذي يُخدَع؟ وما هي الأيدي التي وراء ذلك؟

خطر الغزو الثقافي أعظم من حرب السنوات الثماني:

إنّ خطر الغزو الثقافي عظيم جدّاً، وهو أخطر بكثير من حرب السنوات الثماني مع العراق، بل غير قابل للقياس معها؛ فأيَّ شيء سَلَبَ العراق منا خلال فترة الحرب؟ فالحرب لم تجلب سوى الخسائر المادية لكلا البلدين، ولكنها كانت سبباً لأن يصبح شبابنا أكثر نشاطاً وإيماناً ويجدون هويتهم الدينية، حتى إنهم استطاعوا تعمير البلاد بعد الحرب وسيعمّرون البقية بنحو أفضل إن شاء الله، أما الخطر الثقافي فهو أعظم من ذلك؛ لأنه يسلب إنسانيتنا وقيمنا وثورتنا ويرميها في الرياح، كما فعل النظام البهلوي في مجتمعنا الإسلامي، حيث نشر أنواع الفساد والانحراف بدلاً من الدين والقيم الإسلامية.

التعبئة العامة هي الوسيلة الأساسية لمواجهة الغزو الثقافي:

بعد كل هذه المقدمة يطرح هنا السؤال التالي، ما هي وظيفتنا لمواجهة هذه الأخطار؟ من البديهي أن يتحمل مجموعة من الأشخاص مسؤولية مواجهة هذه الأخطار أكثر من غيرهم، لكن التجربة أثبتت أنّ المشاكل الاجتماعية لن تحل أبداً فيما لو وقعت على عاتق مجموعة أو فئة خاصة من الأفراد، وكمثال

على ذلك عندما شنّ العراق الحرب على إيران، فمن كان يجب أن يقف مقابل حشود العراق؟

من البديهي أنّ هذا العمل، هو وظيفة الجيش الإيراني بالدرجة الأُولى لكن هل تحمل الجيش الإيراني أعباء المقاومة في الحرب لوحده؟ ولقد فرضت أمريكا الحصار الاقتصادي على بلدنا، فمن الذي يجب أن يسعى أكثر لإحباط مؤامرة العدو؟ من الواضح أنها كانت وظيفة الأغنياء وأصحاب المصانع وكان يجب أن يساعدوا الطبقات الفقيرة حتى يتحملوا ضغوطاً أقل لكن هل حدث هذا أم أنهم استغلوا السوق السوداء أكثر؟ فإذن، كان من الواجب أوّلاً أن تتولى الحوزة والجامعة قيادة المواجهة مع الهجوم الثقافي وحلّ هذه المشكلة الخطيرة، لكن إذا استطاع الجيش أن يصد لوحده هجوم العراق فالحوزة والجامعة تستطيع أن تقوم بصد الهجوم الثقافي لوحدها أيضاً؟

إنّ الأخطار الكبيرة مثل الهجوم الثقافي التي تحدق بجميع فئات المجتمع تحتاج إلى تعبئة عامة لمواجهتها، فلو لم تكن همة وتضحيات متطوعينا، فهم حزب الله وجند الله، لما تمكنت إيران من صدّ هجوم العدو، ولما بقي لإيران اسم على خريطة الوجود؟ لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1]، فلو كان المفروض أن يحل الجيش لوحده هذه

---

(١) المائدة: ٥٦.

المشكلة، لما كنا أنا وأنت نعيش اليوم في دولة باسم إيران، فالتعبئة الشعبية هي التي استطاعت صدّ هجوم العدو، لهذا لابد أن تكون هناك تعبئة عامة أيضاً لمواجهة هذا الهجوم الثقافي؟

فلابد أن يشعر الجميع بالمسؤولية وأن يحملوا السلاح في استعداد كامل ولكن أي سلاح؟ إذا كان السلاح العسكري هو المناسب لمواجهة الهجوم العسكري، فما هو السلاح المناسب لمواجهة الهجوم الثقافي؟ فعندما كان عندنا نقص من الناحية التكنولوجية، استطعنا جبرانه نوعاً ما بهمة مجاهدينا، لكن لا يمكن مواجهة السلاح الثقافي بالمدفع والدبابة، ولا يمكن ردّ الشبهات ومواجهة الفكر بالطائرات المتطورة، وإنّما نحتاج إلى العلم لمواجهة هذا السلاح، لذلك وكما تعلم الجميع المسائل العسكرية أثناء الهجوم العسكري في الحرب، لابد أيضاً أن يتعلم الجميع في الهجوم الثقافي، الأُمور الدينية ويؤمنوا أنفسهم بالقيم والمفاهيم الدينية.

فالهجوم الثقافي كالمرض الذي يشيع في المجتمع، لابد ـ على الجميع ـ من حقن المصل المضاد له حتى لا يصابوا بهذا المرض، فعند شيوع المرض لا يمكن القول: إننا لسنا مرضى، فلماذا اللقاح بالمصل؟ لأنّ الجواب سيكون: لقد شاع المرض في كل البلاد، وسيصيب الجميع عاجلاً أم آجلاً.

إذا كنت لا تخدع لكونك في أمان اليوم؛ فالموج إذا هاج في الغزو الثقافي فلن يُبقي شيئاً سالماً.

إذن لا يجب القول: قد مضى من عمرنا ستون أو سبعون سنة، ولن نصبح كافرين بعد ذلك؛ لأنّ هناك الكثير من الأفراد قد حصل لهم الشك في العقائد وهم في الثمانين من العمر.

وعلى كل حال، لابد أن نفكر اليوم بالشباب والأشبال الذين يشكلون الأكثرية في البلاد، وأن نسعى بجد للمحافظة عليهم؛ حتى لا نراهم قد أصبحوا بين ليلة وضحاها (يخرجون من دين الله أفواجاً).

فإلى متى نبقى في غفلة ونغض النظر عن مؤامرات العدو وكأننا لا نسمع ولا نرى؟ ونقول: إنّ هناك أشخاصاً يتولون المسائل الاجتماعية والاقتصادية وسيصلحون ويحلون مشاكلها عاجلاً أم آجلاً ـ نسأل الله أن يوفقهم في أداء وظائفهم ويلهمهم الطرق الأفضل لحل مشاكلها ـ لكن من الذي يتولّى إصلاح المسائل الدينية والثقافية للناس؟ فهل يستطيع الموجودون الآن حل هذه المشكلة؟

فإذا لم يكن المتولّون للأُمور الثقافية قادرين على إصلاح مشاكلها ـ وهذا هو الواقع ـ فإنّ الناس يتحملون وظيفة عامة للمشاركة في هذه المسألة، كلّ حسب طاقته، فلا يسقط عن عاتق الجميع أبسط وأوجب الأعمال، سواء كان شيخاً أم شاباً، رجلاً أم امرأة، وهذا العمل هو إحياء المجالس الدينية، فلماذا نغفل عن هذا العمل؟ إنّ على الشباب والأشبال والنساء والرجال والشيوخ والكسبة والجامعيين وبقية فئات المجتمع، إقامة المجالس الدينية على

المستويات المختلفة، فيطرحون المواضيع المختلفة فيها بشكل فعال، ويحددون لأنفسهم اتجاهاً للدراسة ، فيتحاورون ويتناظرون مع بعضهم بشكل استدلالي، وعندما يصلون إلى طريق مسدود في مناقشاتهم يذهبون إلى أقرب عالم ديني لحل هذه المشكلة.

نحن لم نتمكن إلى الآن من التخلص من أعباء الفقر العلمي الذي فُرضَ علينا طيلة خمسين سنة، ولم نستطع لحد الآن تربية عالم في كل قسم بمقدار كافٍ، ولا يجب أن نتوقع أنّ كلّ مشكلة لا تُحل إلاّ بواسطة رجل الدين، فإني أؤكد مرة أُخرى: أنه إذا كانت مشكلة الحرب قد حُلت بواسطة الجيش فقط فالمشكلة الثقافية تحل بواسطة الحوزة فقط فلابد أن يضع الجميع أيديهم يداً بيد، بتعبئة عامة لمواجهة وحل مثل هذه المشاكل الخطيرة، فإذا لم نتقدم ولم نتطور في فترة ما بعد الثورة، ولم نتمكن من تصدير ثورتنا، فعلى الأقل لنكن حذرين حتى لا نفقد ديننا. وبالطبع إنما أتكلم عن نفسي، وإلاّ فإنّ شبابنا الأعزاء سواء من الإخوة أم من الأخوات، سيستمرون على خُطى وطريق شهدائنا الأعزّاء، لهذا عليهم أن يتسلحوا بسلاح العمل؛ حتى لا تتزلزل عقائدهم ولا يهزموا أمام المشاكل؛ لأنهم بدأوا يشككون اليوم في جميع قيمنا وعقائدنا حتى تلك التي تعتبر من أكثر قيم الإسلام والثورة قطعية.

ولاية الفقيه، الهدف الأساسي للغزو الثقافي:

لقد شكك أعداؤنا في ولاية الفقيه أيضاً، وللأسف قد ساعدهم في ذلك بعض الأصدقاء السذّج في مواقف متفرقة، فلو لم توجد ولاية الفقيه وقيادة الإمام الراحل، لما كان لإيران وجود خارجي، فما هو سبب كلّ هذه المشاكل في أفغانستان؟ ولماذا يقتل بعضهم بعضاً؟ حتى الاتحاد السوفيتي لم يستطع إيقاف ذلك، فلماذا كلّ هذا البلاء؟

الجواب: لأنه لم يكن لديهم قائد واحد مطاعٌ. ونتساءل أيضاً كيف استطاعت إيران أن تحافظ على كيانها وتصنع ثورة بهذه العظمة، برغم كلّ هذا الاختلاف القومي من الفرس والترك والبلوش والأكراد وبقية القوميات؟

والجواب: لوجود الولي الفقيه قائداً واحداً مطاعاً من قبل كافة أبناء الشعب وهم يعلمون أنّ وظيفتهم الدينية إطاعته، وقد أدرك العدو هذا الموضوع، وهو يسعى اليوم إلى سلب هذا الامتياز منا؛ لأنه يعلم أننا إذا فقدنا ولاية الفقيه سنتحول إلى أفغانستان أُخرى بعد عدة سنوات.

فلنكن يقظين ولا ننسَ نعَم الله علينا و نتخذها أُلعوبة بأيدينا، ولا يجب أن نتصور ولاية الفقيه من المسائل البسيطة فنشكك فيها من الناحية الفقهية؛ لأنّ أعداءنا يهاجمون قيمنا وعقائدنا بوعي وتخطيط مسبق، لهذا يجب أن نعي ما نفعل وأن لا نهدم أنفسنا وقيمنا بأيدينا، وأن نحافظ على ولاية الفقيه حتى لا

تتعرض إلى أقل تجاوز أو تطاول، وإلاّ ستتعرَّض إلى نفس البلاء الذي تعرضت له أفغانستان ولبنان وفلسطين، فولاية الفقيه إحدى النعم التي تفضّلَ الله بها علينا وجعلها أماناً لنا من بلاء الدنيا.

لقد تعرض البعض إلى حريم الولاية، وبدأوا بنقد ولاية الفقيه من وجهة نظر العلوم الاجتماعية ـ حسب قولهم ـ فقالوا: إنها نوع من الاستبداد ونوع من الحكومة الفاشية، فعلينا جميعاً أن نكون منتبهين جيداً لمثل هذه المخاطر التي يخلقها العدو بين الشعب، وأن نعلم أنّ ولاية الفقيه هي عمود وأساس ثورتنا وهي ركن حياتنا، فيجب أن نعمل لحمايتها وحراستها والمحافظة عليها، ولا نتصوّر أننا نخدم الإسلام والبلد بالتشكيك فيها.

لقد طرحت في مجلات البلاد الثقافية مسائل أُخرى إلى جانب مسألة التشكيك بولاية الفقيه، ومن هذه المسائل الديموقراطية، والليبرالية وأشياء أُخرى من هذا القبيل. ويمكن القول: إنّ حركة عامة قد بدأت بنشر الأفكار الغربية ومجابهة الأفكار الإسلامية، استناداً على الديموقراطية والليبرالية، والحرية ومفاهيم أُخرى من هذا القبيل، وكذلك الطعن بالحكومات الدينية والإسلامية وتشبيهها بحكومات الكنيسة في القرون الوسطى وأمثالها. إنّ هذه الأفكار والمفاهيم بمثابة الرصاصات التي تصيب قلب ثورتنا، ونحن نُسلّي أنفسنا بإحياء الرقص المحلي، أو إقامة المهرجانان الكبيرة لمطربينا المحليين، ونتصوّر أننا بهذه الأعمال نواجه الغزو الثقافي، بل نحن في غفلة وتيه، فأي عمل هذا؟

إحدى طرق مجابهة الغزو الثقافي، حفظ الاعتقادات والقيم الإسلامية بإحياء المجالس الدينية؟

أُوصي وأؤكد مرة أُخرى أنّ وظيفة الجميع وبدون استثناء، الاهتمام بإحياء المجالس الدينية على كافة المستويات، إنّ الاعتقادات والقيم هما ركنا الثقافة وبقية الأشياء مثل الأغصان والأوراق، لهذا يجب علينا المحافظة على هذين الركنين، فهل المحافظة على الآداب والتقاليد المحلية، والمحافظة على الغناء والملابس المحلية وأمثالها، تعين المحافظة على الثورة والإسلام؟ من البديهي أنّ الجواب عن هذا السؤال هو: كلا، لا يعني ذلك المحافظة على الثورة والإسلام. وبالطبع فإنّ رجال الدين والعلماء يتحملون الدور الأساسي في هذه المواجهة، ومن بعدهم بقية الفئات المتعلّمة، ثم بقية طبقات المجتمع، فلا يوجد شخص مستثنى من هذه المواجهة، ويجب علينا المشاركة في كلّ مجلس ديني يزيد من رؤيتنا بالنسبة إلى الإسلام ولو بمقدار قليل، أو على الأقل يحافظ على رؤيتنا بمقدارها الحالي.

إننا نرى أنّ الاعتقادات والقيم الإسلامية بدأت تضعف وتقل يوماً بعد آخر، فإذا استمرّ هذا السير بالنزول، فإلى أين ينتهي الأمر؟ فهذه المشكلة لا يمكن التصدّي لها إلاّ بالطريق الفكري، أي بتقوية عقيدة الشباب وإيمانهم بهذا الطريق، حتى لا يتصوروا أنّ الطريق الفكري مثل بقية الطرق الأُخرى، وأنه أحد الميول والرغبات أيضاً؛ لأنّ هذا ما يريده الغرب، وهو أن يزرع في نفوس

شبابنا أنّ بعض الناس عندهم دين والبعض الآخر عندهم أخلاق، فيعمل البعض على أساس الدين، بينما يعمل البعض الآخر على أساس الأخلاق وعلى هذا يمكن أن نجد بعضاً آخر يعمل على أساس الآداب والتقاليد المحلّية، أي أن تكون التقاليد الدينية هي الحاكمة في بعض الأماكن، وفي أماكن أُخرى تكون التقاليد الاجتماعية هي الحاكمة، في حين لا نجد أماكن أُخرى الاعتماد على التقاليد سواء الدينية أو الاجتماعية، بل يجب التفكير بالإبداع والتجدد والخروج عن التقاليد ورمي كلّ شيء بعيداً، سواء الدين أو القومية. لقد كانت هذه الأفكار الغربية تطرح في الجامعة أولاً، ثم يسري تأثيرها إلى بقية فئات المجتمع.

فيجب علينا أن نسعى لتقوية الاعتقادات الدينية في المجتمع، ولا ندع الشك يدخل إلى قلوب شبابنا وأبنائنا الأعزاء، ونعمل على إحياء القيم الإسلامية حتى نتمكن من مواجهة هذه الأفكار الغربية: نسأل الله أن يطيل عمر قائدنا العزيز وأن يديم عزته وسلامته وتوفيقه، فهو الذي يهتم بشكل خاص بإحياء القيم الإسلامية ويدرك خطر الهجوم الثقافي أكثر من غيره ويطلب النصرة من الجميع لصدّ هذا الهجوم، لكن وللأسف لا يجد الأنصار الجيدين، فنحن لسنا أنصاراً جيدين له، ولم نؤدِّ الامتحان جيداً في هذه المرحلة، فشبابنا خرجوا من امتحان الحرب مرفوعي الرأس، لكننا لم نحقق النصر لحدٍّ الآن في ساحة الجهاد الثقافي، وآمل أن نكون أكثر وعياً ونتنبه أكثر إلى هذا الخطر الكبير

وعلى أُولئك الذين قدّموا أرواحهم رخيصة في جبهة الحرب فداء للإسلام العزيز، أن يضعوا وقتهم وفكرهم على طبق من الإخلاص في سبيل حفظ القيم والاعتقادات الإسلامية وفقنا الله وإياكم إن شاء الله.

إيجاد الجو العائلي المناسب والتعامل الودّي مع الشباب هو أحد طرق المجابهة مع الغزو الثقافي:

إنّ كل الشعب يطرح علينا هذا السؤال: ما الذي يجب القيام به لمواجهة الغزو الثقافي للأعداء؟ يكون لدينا جواب مناسب له، لكننا نعجز عن إيجاد الجواب المناسب، عندما يتعلق الأمر بشعبنا، فنحن اليوم لا نعرف كيف نتصرّف عملياً لمواجهة هذا الغزو، وهو مما يؤلم حقاً فالكثير من الأفراد يكتبون وصفة الدواء للآخرين، لكن لا يعرفون ألمهم وعلاجهم. في الوقت الحاضر يمكن الحيلولة دون حصول بعض المفاسد في المجتمع، فمثلاً يجب أن نتعامل بشكل مناسب وظريف مع الشباب والناشئة؛ لأنّ التعامل الخشن معهم ليس صحيحاً وله آثار سلبية عليهم وبالطبع فإنّ التعامل مع الشباب والناشئة أمر صعب وله مشاكله، فيجب أن نقوم بتوجيههم بهدوء وبالنصيحة غير المباشرة، فمثلاً نطرح عليهم سؤالاً حتى ينتبهوا إلى جوابهم، لا نطرح الأمر والمشكلة بشكل مباشر ثم ننبههم عليه، ونحاول أن نغرس في نفوسهم الميل لمواجهة المشاكل التي يتعرضون لها، فالنصيحة المباشرة المصاحبة للخشونة والإجبار لا تكون مؤثرة في الشباب ـ سواء الأولاد أو البنات ـ خاصة إذا كانوا في سن البلوغ أما

النصيحة إذا كانت مع المداراة وطرق التعليم والتربية الصحيحة فستكون أكثر ملائمة مع روح الشباب.

فالناشئة في سنّ البلوغ يكونون حساسين أكثر من اللازم، لهذا لا يجب التعامل معهم بخشونة، ولا نتركهم لحالهم، وما يقال من وجوب عدم التدخل في شؤون الأطفال وتركهم يفعلون ما يريدون، هو كلام خاطئ وغير صحيح بل يجب علينا العمل على جلب أنظار الأطفال نحونا بتعقل وهدوء وبالملاطفة والمنطق، وبلا خشونة أو غلظة، وهذا العمل ممكن، لكنه يحتاج إلى الصبر فلابد أن نهيّئ الوسائل اللازمة لراحة الناشئة وسرورهم، ونجعل الجو العائلي مناسباً لهم، ويكون أفراد العائلة رحماء فيما بينهم، حتى لا يبقى سبب لأن يشغلوا أنفسهم بأفلام الفيديو.

فإذا كان التعامل في البيت خشناً وحاداً، فسيؤدي إلى إيجاد العصبية ويهرب الأبناء من محيط البيت، فيلجأون إلى بيت الجار وأصدقاء السوء وينشغلون مع بعضهم في أماكن خالية بمشاهدة أفلام الفيديو، ويقضون أوقاتهم بهذه الوسيلة، فيتركون دروسهم ويتعرضون إلى الفساد الأخلاقي. أما إذا كان جو البيت جواً صميمياً وسالماً فسيجذب الأبناء نحو محيطه ويرغبون بالجلوس مع الأب والأُم والأخ والأُخت، ويستأنسون بمصاحبتهم، فيجدون ميلاً أقل إلى أعمال الفساد، وحتى لو ظهر عندهم ميل بسيط نحو الذنب، فيمكن تنبيههم إلى خطر ذلك بالاستدلال والملاطفة والمنطق.

فاسعوا لأن تجدوا أصدقاء جيدين لأبنائكم، فالصديق من أهم العوامل التي تجعل الإنسان صالحاً أو فاسداً، فإذا كان للإنسان ـ البنت أو الولد ـ صديق جيد فستحل نصف مشاكله، بل حتى أكثر من ذلك.

الوسائل التي يستخدمها الاستكبار لتحقيق أهدافه الثقافية

في السابق كان بالإمكان أن يتسلّط قوم على قوم آخرين، أو تتسلط دولة على دولة أُخرى باستخدام القوة أو إعمال الضغط عليها، كما كان يحصل في الماضي من قبل أغلب دول العالم، فكانت الدولة تهجم على الأُخرى وتتسلط على شعوبها بقوة السلاح وإراقة الدماء حتى تحكم هذه الدول وتسيطر على مقدراتها، إلاّ أنّ هذا النوع من السيطرة لم يكن يُغير ثقافة الشعوب المسيطر عليها، فلذلك لم تكن هذه السيطرة كافية لإبقاء واستمرار تسلط القوة المهاجمة، ما لم تكن مترافقة مع الهجوم الثقافي؛ أي إذا نجحت الدولة أو المجموعة المهاجمة في القيام بهجوم ثقافي على الشعوب المغلوبة، فستتمكن من تهيئة أسباب استمرار سيطرتها، وإلاّ فستسيطر مجموعة أُخرى على تلك المجموعة المهاجمة فتنهي سيطرتها أو أن تنهض الشعوب المغلوبة وتثور عليها فتخرجها من بلادهم. لهذا فقد ظهرت دائماً دول أو مجموعات تحاول السيطرة على دول أو مجموعات أُخرى، أو عائلة تسيطر على عشيرة أو قوم، مثل السلجوقين، والمغول والأيلخانيين، والتيموريين وأمثالهم، فبرغم سيطرتهم على الشعوب بقوة السيف، إلاّ أنهم كانوا يسعون دائماً إلى الاستفادة من العلماء الوزراء والعرفاء بعيدي النظر، حتى يتمكنوا من التأثير على قلوب الناس وجذبها نحوهم، والتغلغل في ثقافة الناس وتغييرها لما يوافق مصلحتهم واستمرار حكومتهم.

فكلما استطاعت المجموعة المهاجمة أن تتغلغل أكثر في فكر وثقافة الشعب، كلما تمكنت من تأمين سيطرتها واستمرار قدرتها على استغلال ذلك الشعب أكثر، فإذا لم توفق في تحقيق هذا العمل فستهزم هذه المجموعة المهاجمة عاجلاً أم آجلاً، وقد تعلمت الدول الاستعمارية الغربية هذه التجربة جيداً واختبرتها كثيراً واستفادت من نتائجها المثمرة في مناطق مختلفة من العالم، فاتعضوا من الأحداث التاريخية السابقة وأصبحوا أكثر تجربة وخبرة في هذا المجال.

يعتبر القرنان أو الثلاثة قرون الأخيرة، قرون الاستعمار والسيطرة الاستعمارية، وعلى الرغم من استئصال وانتهاء الاستعمار بشكله الرسمي إلى حدٍّ ما، لكن قد ظهر في هذا العصر بأشكال أُخرى، فقد تسلط المستعمرون على مناطق كثيرة في العالم، من الدول الأفريقية والأقيانوسية وجزر المحيط الهادي ومناطق من آسيا، وبقية مناطق العالم الأُخرى وحاولوا بعد الاستيلاء على هذه البلاد بالقوة العسكرية، التغلغل في ثقافة المجتمع في تلك البلاد. لقد كانت هذه السيطرة تحدث غالباً بواسطة القوة البحرية الإنجليزية، على الرغم من أنّ القوة البحرية البرتغالية والأسبانية كانت تتمتع بقدرة ملاحة جيدة وتمتلك أُسطولاً بحرياً قوياً.

وقد كان المستعمرون الإنجليز عادة، يكتشفون المناطق أوّلاً ثم يسيطرون عليها بعد ذلك، لهذا ظهرت مستعمراتهم قبل بقية المستعمرين ومن البديهي أنّ

الدول الاستعمارية المجاورة للبحر والتي تمتلك أُسطولاً بحرياً، مثل هولندا والإنجليز، وفرنسا، كانت تنتصر غالباً في المعارك البحرية، فكانوا ينزلون قواتهم على سواحل هذه المناطق للسيطرة عليها ثم يسعون إلى التغلغل في ثقافة شعوب هذه المناطق خاصة من خلال نشر لغتهم الاستعمارية، لأجل استمرار ودوام سيطرتهم على هذه البلاد.

في البداية كان المستعمرون يسعون إلى ترغيب التجار المحليين وتشجيعهم على تعلّم لغة المستعمر، بحجة أن يتمكن التجار من التردد على الدول الاستعمارية لغرض التجارة، ثم بعد ذلك يدفعون الآخرين تدريجياً إلى تعلم لغتهم. لهذا كان المستعمرون يسعون بجدية إلى النفوذ داخل القصور والبلاط في المناطق المستعمرة، ويعملون ما أمكنهم لجعل تعلم اللغة الأجنبية ظاهرة جديدة وموضة في البلاد، حتى يرغب الجميع بتعلم لغة المستعمرين الأجانب، ثم يقومون بنشر كتبهم في هذه البلاد تبعاً لمقدار نفوذهم في حكومات هذه المناطق، وحتى لغة البلاد لو تمكنوا من تغييرها لتطابق لغتهم لفعلوا ذلك، فمثلاً عندما سيطر الإنجليز على الهند، غيّروا لغة الهند الرسمية إلى اللغة الإنجليزية، وما زالت إلى اليوم اللغة الإنجليزية أو الفرنسية هي اللغة الرسمية لكثير من الدول الأفريقية، وكان هذا بسبب السيطرة الطويلة للمستعمرين على هذه الدول فما زالت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في الجزائر، وقد بدأوا أخيراً وبعد فترة طويلة من الاستقلال بإعادة إحياء اللغة

العربية مرة أُخرى.

لقد انتشرت اللغة الفرنسية في إيران أواخر فترة الصفوية، وبعد ذلك في فترة الزندية والأفشارية وكذلك فترة القاجار؛ لأنّ فرنسا كانت تعيش في تلك الفترة مرحلة ازدهارها ونمو حضارتها، فاستفادوا من أساتذة فرنسيين في المدارس التي تأسست في إيران؛ فمثلاً في دار الفنون كان الأساتذة يستفيدون من كتب فرنسية، فقد كان المتعلمون الفرنسيون كثيرين في إيران، لهذا كانت الاصطلاحات الفرنسية في لغتنا أكثر من الاصطلاحات الإنجليزية، فمثلاً كانت بعض الاصطلاحات العلمية الفرنسية تستخدم في بعض الكتب مثل اصطلاحات (هاش، إيكس ايكرگ) التي تستخدم في الهندسة، وذلك لتغلغل ثقافة ولغة فرنسا في بلدنا، وما زالت جذورها باقية إلى الآن أيضاً، فقد انتشرت الثقافة واللغة الفرنسية في إيران تدريجياً، بسبب تعلمها ودراستها من قبل الإيرانيين حتى إنها أصبحت من الموضة، فكان الشخص يفتخر بمعرفته لعدة كلمات فرنسية، حتى لو كان يعلم بعض الألفاظ من لغات الدول المجاورة، إلاّ أنّ اللغة الفرنسية تعتبر شيئاً متميزاً عن بقية اللغات، وقد أدّى هذا إلى فقدان الفرد الإيراني هويته الدينية، وحتى هويته الوطنية؛ لأنه أصبح محتقراً يخجل أن يكون إيرانياً ويفتخر أن يكون فرنسياً أو إنجليزياً.

إذن فقد كان نشر اللغة والكتب الأدبية والعلمية، أحد طرق تغلغل الثقافة الأجنبية.

بالطبع أنّ العلم محترم أينما كان وبأي لغة، فالعلم مُلك للإنسانية ولابد من تعلمه ونشره، فهو لا يختص بقارة أو منطقة خاصة، لكن مع ذلك لابد أن ننظر بحساسية ودقة لكل ما له ثمار ثقافية وارتباط بالقيم، وفي تماس مع الاعتقادات والأخلاق والآداب والتقاليد، وقد يتصور البعض بسذاجة أنه عندما نقول، لابد من مواجهة التبعية الأجنبية والمظاهر الغربية، فهذا يعني أنه لا يجب بعد ذلك تعلم لغة أجنبية أو لا يجب قراءة الكتب العلمية الخارجية أو الاستفادة من الصناعة الخارجية، وهذا تصور خاطئ لأنّ كل ما له علاقة بالعلم ويوضح الحقائق فهو مفيد لتطور الحياة البشرية، وهو لا يختص بقوم معينين، بل يتعلق بالإنسانية، ولابد من تعلمه والاستفادة منه بأي طريق ممكن، لكن إذا كان ذلك مرتبطاً بالثقافة فيجب أن لا يكون مصحوباً بتحميل قيم وعقائد العدو.

فنحن عندما نقول: يجب مواجهة ثقافة الغرب، أو نقول: يريد المستعمرون نقل ثقافتهم إلى بلداننا، فذلك لأنّ قصدهم من الثقافة ليس علمهم، فهم لا يريدون أبداً إعطاءنا علمهم، ولو كانوا يريدون ذلك لاستقبلناه بأذرع مفتوحة. بل الواقع أننا لابد أن نتحمل مشقة كبيرة للاستفادة من علمهم، وطلابنا الجامعيون الذين نرسلهم إلى الخارج يؤكدون هذه الحقيقة، وأنّ أساتذة الجامعات هناك لا يريدون تعليمهم شيئاً، بل يريدون أن يُشغلوهم، فيقدمون لهم تسهيلات في الاختصاصات غير المفيدة ما لم يكونوا مطمئنين أنّ الطلاب لن يعودوا إلى بلدهم، ففي هذه الحالة يعلمونهم الأشياء المفيدة، بل حتى

يشجعون مثل هؤلاء الطلاب؛ لأنّ الطلاب الإيرانيين أذكى من بقية الطلاب.

في سفري إلى كندا كان أحد الأطباء الإيرانيين الذين يدرسون هناك يقول: لقد تشكر رئيس ولاية كبك الكندية في إحدى خطبه، من المتخصصين الإيرانيين الموجودين في كندا، وقال: إنَّه يوجد سبع وثلاثون ألف متخصص إيراني في كندا، ولو لم يكونوا هنا لاضطرت دولة كندا إلى صرف عدة مليارات من الدولار حتى يأتوا بغيرهم. فلاحظوا أنه يوجد ٣٧ ألف متخصص إيراني في دولة كندا ذات الـ ٢٥ مليون نسمة! فحتماً يوجد عدة أضعاف هذا العدد من المتخصصين الإيرانيين في أمريكا.

فالأعداء الأجانب يراقبون طلابنا الجامعيين بدقة منذ دخولهم إلى بلادهم فيتصلون بأولئك الذين يتمتعون باستعداد أكثر ويسعون للاحتفاظ بهم، فيوفرون لهم لوازم الراحة وأسباب البقاء هناك، حتى يعملوا لهم ولا يعودوا إلى بلادنا فالأجانب لا يريدون إعطاءنا علمهم، ولو فعلوا ذلك لاستقبلناه بكامل الرضا وحتى لو سمحوا لنا أحياناً أن نتعلم من علومهم فهو لتحقيق منافعهم الاقتصادية أي حتى يصبح في البلاد التي يسيطرون عليها خبراء يستفيدون من بضائع العدو؛ لأنه لو لم يكن في البلاد المستعمرة خبيرٌ عنده اطّلاع على التلفزيون، والثلاجة والكومبيوتر وأمثالها، فلا يستطيعون عندئذ أن يبيعوا لنا بضائعهم. إذن فالأعداء عندما يسمحون لنا أحياناً بالاستفادة من علومهم فإنما هو لحسابات دقيقة، ولأنّ ذلك مفيد لمنافعهم ومصالحهم الاقتصادية، وإلاّ فهم لا يجعلون

علومهم أبداً تحت اختيار الآخرين بثمن رخيص.

ومن هذا يتضح أننا عندما نقول: يجب مواجهة الثقافة الغربية، فليس قصدنا مواجهة العلوم والصناعة الغربيَّة، بل لابد من تعلم علومهم وصناعتهم، وحتى لو لم يسمحوا لنا ولابد أن نخطفها منهم.

فنحن نخالف كل ماله ارتباط بالقيم، ويؤدّي إلى عقائد منحرفة أو سلوك غير صحيح، ويدفع شبابنا نحو اللامبالاة والشهوات، وهذا هو الذي حذّر منه الإمام (رض) في خطبه وكتاباته عدّة مرات، فمثلاً وقبل انتصار الثورة، سئل الإمام في مقابلة معه في فرنسا: إنكم تريدون مجابهة الغرب، فما هو الشيء الذي تريدون مجابهته من الغرب؟

فقال الإمام: نحن لا نخالف المذياع والتلفزيون، بل نحن نخالف برامجه الاستعمارية والفساد، وإلاّ فلا خلاف عندنا مع الصناعة الأجنبية والغربية، فليس هناك عدو للعلم والصناعة. فنحن نخالف ونرفض كل ما يخالف عقائدنا الدينية وقيمنا الإسلامية وقضايانا المقدسة وللأسف، فهذا هو الشيء الذي يسعى العدو لتلقينه الجامعيين بألف حيلة، فهم وحتى يتمكنوا من النفوذ إلى ثقافتنا يسعون إلى طلابنا أوّلاً إلى نشر لغتهم وآدابهم، ثم يزيحون التخصصات العلمية التي لها ارتباط بالقيم، وينشرون أنواع الفلسفة التي لها ميول إلحادية وسوفسطائية مبتنية على الشك، فأنتم تعلمون أنّ الشيء الوحيد الباعث لنمو ورقي واستقلال الدول الإسلامية، هو إيمانهم ويقينهم بالنسبة إلى أُصولهم الدينية، لهذا يسعى

الأعداء إلى نشر الشك بين الشعب بواسطة الخطب، وأحياناً بواسطة الكتب المختلفة، كما هو الحال في بلدنا اليوم.

قال أحد الأفراد المطلعين: عندما جاء المبشرون المسيحيون إلى الدول العربية للقيام بنشاطات مختلفة فيها، أصبحت صديقاً لأحدهم فسألته: أنتم تستثمرون كلّ هذه الأموال من أجل التبشير بالمسيحية في الدول العربية، فكم مسلماً اعتنق المسيحية لحد الآن؟ قال: قليل جداً، لكن نحن لا نبشر بالمسيحية لكي يصبح المسلمون مسيحيين، بل نحن نبلغ المسيحية لأجل إضعاف الدين عند المسلمين، فما نريده هو أن يتزلزلوا في إسلامهم، وإلاّ فليس عندنا رغبة شديدة أن يصبحوا مسيحيين، ونحن نعلم أنهم لن يصبحوا مسيحيين؛ لأنّ التجربة أثبتت أننا لا نملك شيئاً يمكن أن يحل محلّ الإسلام فأهم ما نسعى إليه هو إضعاف ارتباط الشباب المسلم بدينهم، وإيجاد الشبهة في أذهانهم حتى لا يتمسكوا بأحكام وقوانين الإسلام.

فالغرب يعني كلّ دول العالم التي تواجه إيران الإسلامية، وإلاّ لا توجد اليوم مواجهة بيننا وبين الغرب أو الشرق الجغرافي، فالغرب هو عنوان لأعداء الإسلام في كافة أنحاء العالم، وليس له منطقة جغرافية خاصة، ويأمل الغرب اليوم أن يتمكن من إضعاف إيمان شعبنا، وإلاّ فهم قد جرّبوا الحرب العسكرية وليس عندهم أمل بالهجوم على بلدنا عسكرياً، وقاموا بالمؤامرات السياسية طيلة فترة ما بعد الثورة، فعملوا على تغذية المخالفين فكرياً ومالياً وعسكرياً، فلم

يحصلوا على أي فائدة من ذلك، مما أدى إلى يأسهم في النهاية؛ ولم يوفقوا أيضاً في الحصار الاقتصادي، فلم يحصلوا على شيءٍ سوى الضرر المالي الذي سببوه لأنفسهم، والأمل الوحيد الذي بقي لهم هو أن يتمكنوا من زلزلة أفكار جيل المستقبل، وإضعاف إيمانهم بالنسبة إلى العقائد والقيم الإسلامية فحتى نتمكن من الحيلولة دون تغلغلهم في عقائدنا وقيمنا الإسلامية يجب أن نكون حساسين بالنسبة لهذه المسألة؛ لأنّها الطريق الوحيد الذي عقدوا آمالهم عليه.

إنّ المسألة التي أصبحت ميزة للبحث هي تلك المعروفة بـ«**التكامل الديني**» أو «**المعرفة الدينية**» وتأثير وتأثر جميع العلوم بعضها بالبعض الآخر تدّعي هذه النظرية أنّ كل تحول يحدث في أي علم سيترك تأثيره في كل معلومات البشر، فحتى لو حصل هذا التحول في أحد العلوم التجريبية مثلاً لترك تأثيره أيضاً في جميع علوم الفلسفة والعلوم الإسلامية والدينية، فقالوا: إنّ جميع العلوم البشرية تكون من عائلة واحدة مرتبطة مع بعضها، وأي تحول يحصل في أي واحد منها سيؤثر في بقية العلوم والحكم الصحيح في أي قسم من العلوم يتوقف على معرفة بقية الأقسام الأُخرى؛ لأنها مرتبطة مع بعضها، ويستنتج من ذلك أنه حتى القرآن والمعارف الإسلامية، لا يمكن فهمها دون معرفة جميع المعارف والعلوم البشرية، فالشخص الذي لا يملك معلومات عن العلوم التجريبية والعلوم الإسلامية الشائعة في العالم، لا يمكنه القول: عندي معرفة صحيحة عن القرآن، وحتى لو تحقق هذا الأمر فلن تكون عندنا معرفة ثابتة

بسبب التغييرات الحاصلة في العلوم المختلفة التي تؤدي إلى تغيير معرفتنا أيضاً وبغض النظر عن ذلك فإنّ الشخص الذي عنده معلومات كافية عن بقية العلوم يمكنه القول: إني أعرف الإسلام وأفهمه، وهذا قسم من موضوع طرح مؤخراً بالإضافة إلى مقالات عديدة كتبت أيضاً في هذا المجال تحت عنوان «**انقباض وانبساط الشريعة**» و«**تكامل المعرفة الدينية**».

وهناك إدعاء آخر طرح منذ سنوات عديدة، وهو أنّ مسائل القيم ليس لها قاعدة عقلية، ولا يمكن إقامة الاستدلال والبرهان العقلي عليها لهذا لا يمكن إقامة أي دليل عقلي في كل ما يرتبط بالأخلاق والقيم والحقوق وأمثالها.

ونتيجة لذلك لا يمكننا إقامة دليل عقلي على أحكام الإسلام والقوانين الإسلامية، فهي تابعة للذوق، وقد قبلها والتزم بها المسلمون حسب أذواقهم وأحياناً يمكن أن تتبدل أذواقهم فيعتقدون بغيرها.

النقطة الأهم في هذه الآراء هي - بالإضافة إلى عدم قدرة أي علم على إعطاء نتيجة قطعية مئة في المئة في أي موضوع - أنّ الفلسفة تكون أكثر العلوم تأخراً من هذه الناحية، فالفلسفة تكون أضعف من جميع المعارف الأُخرى من ناحية درجة الاطمئنان التي تولدها في النفس؛ لأنه لا يمكن إثبات أي موضوع ميتافيزيقي[١] بشكل يقيني.

---

(١) الميتافيزيقيا: علم ما وراء الطبيعة. (المترجم).

إذن يمكن استخلاص النتائج التالية من هذه البحوث:

أوّلاً: لا يمكن إثبات وجود الله بالدليل العقلي؛ لأنّه مسألة ميتافيزيقية وكذلك لا يمكن إثبات وجود النبيﷺ بشكل يقيني؛ لأنه مسألة ميتافيزيقية وغير قابلة للتجربة، ولا يمكن أيضاً إثبات الوحي؛ لأنه لا يخضع للتجربة، وقد شكّك صاحب هذه النظرية في مسألة أنّ الصدق إحدى صفات الله، وأنّ الله يقول الصدق، وقد قال بصراحة في كلية الإلهيات في طهران:

لا يوجد لدينا دليل على أنّ كل ما يقوله الله يكون صدقاً؛ لأنّ الصدق من القيم، ولا برهان للقيم. فبرهان المتكلمين الذي يبتني على أنّ الصدق حسن وكل حسن لازم لله، فإنّ الصغرى والكبرى في هذا البرهان، هما قضيتان من القيم، ولا برهان للقيم، لهذا لا يمكن إقامة الدليل العقلي على أنّ كل ما يقوله الله يكون صدقاً، بالإضافة إلى أنّ نفس قضية حسن الصدق، هي قضية غير كلية، فالكذب لمصلحة يكون أمراً مقبولاً أيضاً.

وقد طرح ذلك الشخص هذا الموضوع بصراحة في كلية الإلهيات وحسب قوله، أي حتى لو فرضنا إثبات وجود الله والنبي وأنّ القرآن كلام الله وأثبتنا أنّ كلام الله صدق، فمع كل ذلك يكون علمنا من القرآن شيئاً غير ثابت فكل شخص يفهم من القرآن بالمقدار الذي يدركه بنفسه والإسلام هو ذلك الدين الذي يفهمه بنفسه، والذي قد يختلف عن فهم الآخرين للإسلام، فلابد لكلّ شخصٍ أن يكون عنده معلومات عن كلّ العلوم، حتى يستطيع الادّعاء أنه

قد عرف الإسلام قدر الإمكان، وإلاّ فإنه لا يمكن فهم حتى الفقه الإسلامي دون التعرف على سائر العلوم الأُخرى. ومن هذا يمكن الاستنتاج أنه لا اعتبار لكل ما بيّنه الإمام الراحل رحمه الله من تعاليم وقيم بعنوان الإسلام؛ لأنّ الإمام لم يكن عنده معلومات عن بقية العلوم.

ومن الطبيعي أن نستنتج أيضاً من هذه النظريات أنّ القيم التي ضحّى من أجلها شبابنا بحياتهم، كانت مزاجية، فلكل شخص مزاجه الخاص وأنّ هذه القيم لا تستند إلى أُسس عقلية ولا برهان، فمثلاً يقول شخص: هذا جيد والآخر يقول: لا، ليس جيداً، فهذا الجيد والرديء ليس دليلاً عقلياً، فهو أمرٌ متغير، ويتفاوت حسب ثقافات وحضارات الشعوب، فذوق المجتمع يقبل ذلك الأمر، وذوق مجتمع آخر لا يقبله: وبناءً على هذا، فإنّ عقائدنا وأخلاقنا وقيمنا لا تستند إلى جذورٌ قطعية، وهذا يعني أننا قد قرأنا الفاتحة على الإسلام.

طرق نشر القيم

إنّ نشر القيم أو مجابهة الهجوم ضد القيم في كلّ مجتمع، يتم بطريقين عامين:

١. طريق البحث والحوار، والمنطق والاستدلال:

إنّ أوّل طريق لنشر القيم الإسلامية في المجتمع، هو البحث حول كلّ واحدة من هذه القيم بشكل منطقي واستدلالي، بمعنى أننا نوضح فوائد إحياء كل من هذه القيم، وكذلك الأضرار الناتجة من استخدام الطرق المخالفة لها في المجتمع، وبالاستدلال المنطقي نستنتج وجوب إحياء القيمة الأخلاقية الفلانية، أو وجوب مجابهة الطريقة الفلانية الخاطئة ونعمل على إثبات خطئها بالاستدلال.

إنّ هذه الطريقة معقولة جداً وصحيحة، لكنها ليست الطريقة الوحيدة، أي لا يكون البحث والاستدلال هو الطريق الوحيد لنشر القيم بل إنّ أكثر الطرق تأثيراً في نشر أي من القيم في المجتمع هو الدعاية العملية، حيث يقومون بإحياء القيم عملياً وبأشكال متنوعة بالاستفادة من أُصول وقواعد علم النفس وعلم الاجتماع، دون أن يقوموا بالبحث والاستدلال حولها.

٢. تهييج المشاعر والأحاسيس:

إنّ ما تستفيد منه اليوم أجهزة الغرب الدعائية لمجابهة القيم الإسلامية ليس

البحث والاستدلال، فهم أضعف وأعجز من أن يتمكنوا من إضعاف قيمنا الإسلامية أو ترويج قيمهم المنحطة بالمنطق والاستدلال، بل يعملون على تحقيق أهدافهم وإراءة نماذج عملية لها، بواسطة الطرق الدعائية المركزة؛ أي يقومون بتلقين هذه القيم الخاطئة إلى القارئ بشكل منظم ودقيق، في الصحف والكتب والروايات وكل ما يرتبط بالكتابة، فيقبله القارئ بلا تردد دون أن ينتبه إلى ذلك، مثلاً يكتبون قصة بشكلٍ بحيث عندما يقرأ القارئ هذه القصة يصبح مولعاً بها أو يشعر بالكراهية لموضوع آخر، فليس في هذا الأُسلوب أي نوع من الاستدلال، بل يعرضون القصة بالاستفادة من الخيال، والمشاعر والأحاسيس مما يؤدّي إلى تهييج مشاعر القارئ ضد موضوع معين، وإذا أرادوا أن يروّجوا إحدى القيم في المجتمع ويجعلون الناس يقبلونها، يكتبون نفس القصة، ولكن بشكل آخر، بحيث يشعر القارئ برغبة نحو تلك القيمة، فهذه الطريقة ليست استدلالية، بل هي طريقة دعائية تستفيد من قوة الخيال وتهييج أحاسيس ومشاعر الناس.

تُستخدم هذه الطريقة كثيراً في الأفلام، فهم يختارون وجه بطل الفيلم بحيث يجلب نظر المشاهد نحوه ويصبح مولعاً به، حتى يظهر عنده شاء أم أبى ميل نحو صفاته الظاهرية والباطنية.

فنحن نرى غالباً في الأفلام والمسلسلات الأجنبية، أنهم وبرغم عدم إعلانهم بشكل صريح يقومون بترويج سلوك معين، مثل طريقة ارتداء

الملابس وغيرها، فمثلاً، يعرضون للمشاهد نوعاً من الملابس على أنه مناسب وجميل، ولهذا نرى اليوم، بعضاً من شبابنا عندهم رغبة في ارتداء الملابس اليابانية، رغم أنها لا تتناسب مع ثقافتنا ولا طريقة حياتنا، وقد انتشرت هذه الملابس في أسواقنا أيضاً، وهي لا تتلائم أبداً مع سليقة الإيرانيين، حتى إنّ البعض يشتري ملابس مشابهة لملابس فلان النجم السينمائي الياباني، لأجل التظاهر فقط.

فهذا العمل لا يتلاءم مع أي منطق واستدلال، ولو سئلوا: لماذا تلبسون هذه الملابس؟ هل هي مريحة أكثر؟ يجيبون: لا، هل هي أجمل؟ يقولون: لا، هل اخترتموها حسب سليقتكم وذوقكم؟ فيجيبون أيضاً: لا إذن لماذا تلبسونها؟ يقولون: لأنّ نجم السينما الفلاني كان يلبس مثل هذه الملابس.

وفي بعض الأحيان، يقوم المشاهد أيضاً بتقليد الممثل السينمائي حتى في طريقة تسريحة شعره، دون أن يكون هناك أي منطق أو جهة لاختيار هذا العمل، وإنّما لأنه كان ممثلاً معروفاً فقط. فهذه الأعمال تستند إلى مجموعة من الأُصول النفسية، والأشخاص الذين تعلموا هذه الأساليب جيداً، يستفيدون من هذه الطرق لتحقيق أهدافهم في مجتمعات أُخرى. لهذا يجب أن نكون يقظين ونتعرف على الطرق التي يحاولون من خلالها التغلغل في ثقافتنا واعتقاداتنا، وأن نهيئ أنفسنا لمواجهتهم.

طرق مواجهة الهجوم الثقافي

ألف ـ توعية الناس لأهداف مروّجي الثقافة الغربية:

بشكل عام أنّ الذي يحمينا ويصوننا من التبليغات المعادية هو أن نفهم أنّ الهدف من هذه الأساليب الاستعمارية هو سيطرة القيم المناهضة للإسلام على ثقافة المجتمع، وعلى فرض أنّ تلفزيون الجمهورية الإسلامية يعرض مرغماً بعضاً من هذه الأفلام الغربية، لكن مع ذلك يجب أن نفهم أنّ هذه الأفلام لا تتلاءم معنا، ولا تتطابق مع قيمنا الثورية والإسلامية الوطنية، لهذا يجب أن نهيّئ أنفسنا لمواجهتها، وحتى لو شاهدنا فيلماً منها، علينا أن لا نقع تحت تأثير مضامين هذا الفيلم، سواء المضامين العلنية والصريحة أو المضامين المخفية مثل سلوك الأفراد وطريقة ارتداء الملابس، وطريقة التجميل وأمثال ذلك. إذن لابد أوّلاً أن نتخذ موضعاً دفاعياً قوياً تجاه مضامين الفيلم، بأن نهيّئ أنفسنا حتى لا نقع تحت تأثيره؛ لأنّه عندما نواجه سلوكاً معيناً نسعى الى تهيئة أنفسنا، حتى لا نتأثر به، وأن نعلم من البداية أنهم يقصدون خداعنا ويريدون إبعادنا عن قيمنا وعقائدنا.

ب ـ الهجوم الثقافي ضدّ ثقافة الغرب:

لمواجهة الطرق المختلفة التي يستخدمها العدو لتحقيق أهدافه، يجب أن نستخدم طرقاً هجومية مضادة له، أي كما أنهم يستفيدون من الكتب والقصص

والأفلام وغيرها لترويج قيمهم وعقائدهم، نستخدم نحن نفس هذه الأساليب بشكل مضاد، أي لابد أن يكون عندنا فنانون قادرون على إحياء قيمنا الإسلامية ونشرها بواسطة الفلم والمسرحية والكتاب والرواية القصصية والقصة وسائر الآثار الفنية الأُخرى، بحيث نتمكن من التأثير على الآخرين من خلال هذه الوسائل الفنية والدعائية، أي لا يجب علينا أن نتخذ دائماً موضعاً دفاعياً مقابل العدو، بل يجب أن نتحول من الدفاع إلى الهجوم ونحاول نشر عقائدنا وقيمنا الإسلامية.

إنّ إحدى الوظائف الملقاة على عاتق الجيل المتعلم والمثقف، والتي يجب عليهم أن يسعوا لتحقيقها في المستقبل هي أن يعدّوا أنفسهم لمثل هذه المواقف ويعملوا على نشر قيمنا الإسلامية في المجتمع بالاستفادة من الفنون المختلفة مثل الكتابة، حتى يصبح الناس أكثر ارتباطاً بقيمنا الإسلامية، وهذا العمل سهل جداً؛ لأنه توجد مواضع مشوقة جداً في الثقافة، والتاريخ والعلوم وكافة المجالات الثقافية الأُخرى، لكن وللأسف لم يُنجز عمل كافٍ في هذا المجال، وقليل هم الأشخاص الذين يمتلكون استقلالاً فكرياً ويتعاملون مستقلين ولا يتأثرون بأمواج الثقافة الغربية، لهذا فإنّ قسماً من رسالة شبابنا هو متابعة هذا الهدف في المستقبل حتى يحققوا رسالتهم الإسلامية بأحسن وجه.

ج ـ نشر القيم المعنوية:

للإنسان نوعان من الميول قد جعلها الله تعالى فيه بشكل فطري إحداهما الغرائز الحيوانية، والأُخرى الميول المتعالية، فالهدف من وجود الغرائز الحيوانية هو تمكن الإنسان من البقاء حياً، والاستمرار بحياته الفردية والاجتماعية، فمثلاً لو لم توجد الغريزة الجنسية عند الإنسان، لما شعر الذكر والأُنثى بحاجة كل منهما للآخر، ولما ظهرت عندهم الرغبة للارتباط فيما بينهم، خاصة مع وجود المشاكل الكثيرة في الحياة، من قبيل إنجاب الأطفال ورعايتهم حتى يكبروا وتربية الأبناء وتهيئة مقومات الحياة، فعندئذ هل يظهر الاستعداد عند بعض الناس لتحمل هذه المشاكل الكثيرة مع عدم وجود الغرائز الجنسية؟ فالغريزة الفطرية التي جعلها الله تعالى في الإنسان، هي التي تدفعه أكثر من أي شيء آخر، لتشكيل الحياة الأُسرية وإنجاب الأطفال وتحمل متاعبهم، وهي التي توجد الميل والرغبة في كلّ من الرجل والمرأة للآخر.

وفي المرحلة التالية، تكون غريزة الأُمومة هي السبب الذي يجعل الأُم تشعر بلذة في تربية أبنائها، وتؤدي إلى بقاء النوع الإنساني على وجه الأرض فلو لم توجد هذه الغريزة لانقرض نسل الإنسان منذ البداية، ولما كان هناك هدف لإنجاب الأطفال وتربيتهم.

إذن فوجود هذه الغرائز أنّما كان عن حكمة إلهية، فمثلاً لو لم توجد

غريزة الأكل ولم يكن عندنا ميل للغذاء أو أي لذة في أكلة معينة، لما كان هناك أي دليل لأن نتحمل كلّ هذه المتاعب حتى نحصل بالعمل والمشقة على المال لتهيئة الغذاء، فالجوع والإحساس بالحاجة هو الذي يدفعنا إلى هذا العمل إذن لابد من وجود هذه الغرائز عند الإنسان؛ لأنّ وجودها ضروري لحياته الفردية والاجتماعية.

لكن من الممكن أيضاً أن تكون هذه الحاجات والغرائز منشأً لأنواع الفساد، أي إذا لم تُراعَ حدودها ولم يُسيطر عليها ضمن نطاق معين فستؤدي ـ شئنا أم أبينا ـ إلى الفساد، لهذا لابدّ من وجود قوى أُخرى تسيطر على هذه الميول وتحددها. فالإنسان يستطيع السيطرة على ميله نحو اللذائذ الحيوانية عندما يمتلك ميلاً أقوى نحو القيم العالية الروحية والمعنوية، فلو لم يمتلك هذا الميل لسيطرت الميول الحيوانية على حياة الإنسان بشكل جامح، فيؤدي ذلك إلى انتشار الفساد في المجتمع، فقبول الإنسان لمجموعة من القيم السامية، هو الذي يمكنه من كبح جماح ميوله الحيوانية.

فإذا قبل الإنسان أنّ العفة والورع والسيطرة على الغرائز الجنسية والغرائز المرتبطة بالبطن، تعتبر نوعاً من القيمة والكمال له، فسيكون مستعداً للسيطرة على ميوله الحيوانية، لكن إذا لم يقبل هذه القيم، فسيكون مثل الحيوان لاحدّ لغرائزه، فيصبح غارقاً في الأُمور الجنسية طيلة حياته ويترك القيم الإنسانية وحتى القضايا المرتبطة بالحياة المادية والصناعية والتكنولوجية؛ لأنّ الإنسان

المشغول في المسائل الجنسية ليلاً ونهاراً، لا يفكر في أي شيء آخر.

إنّ قبول مجموعة من القيم الأخلاقية، هو الذي يجعل الإنسان محدداً ومعتدلاً، في الاستفادة الصحيحة والمعقولة من هذه الغريزة، فمثلاً قبول الحاجة إلى العلم، وقبول العفة والورع وقبول عبادة الله والتوجه إليه والأُنس معه، على أنها قيم وعقائد أخلاقية متعالية سيمنع من طغيان الشهوة والغرائز الحيوانية، وإلاّ لو لم يقبل الإنسان هذه القيم لسيطرت الشهوة والغريزة الحيوانية بشكل جامح على المجتمع.

إنّ علّة بعث الأنبياء، هي نشر بعض القيم الأخلاقية ليصدقها الناس ويقبلوها، وكان المخالفون للأنبياء يعتقدون أنّ نجاح الأنبياء في أداء مهمتهم مخالف لمصالحهم الذاتية، لهذا كانوا يسعون إلى الحيلولة دون نشر هذه القيم ويعملون على استبدالها بقيم أُخرى، فبدلاً من توعية الناس بوجوب السيطرة على الغرائز الحيوانية، كان المخالفون للأنبياء يعملون على إثارتها وتهييجها أكثر، فهم لا يكتفون بالإرضاء الطبيعي لهذه الغرائز بل يعملون على إيجاد الدوافع الكاذبة والبلوغ السريع ويسعون إلى إلقاء الناس في فخ الشهوة.

إنّ الأهداف المادية هي التي تكمن وراء جميع هذه الأعمال المخالفة للقيم الإنسانية، فمثلاً إذا سعى أحد المعامل إلى الحصول على ربح من إنتاج وبيع وسائل التجميل، فإنه يقوم بدعوة وترغيب الناس بأي شكل ممكن لشراء هذه الوسائل والاستفادة منها، وهذه الدعوة ستكون مؤثرة ما دامت طبقات

المجتمع تستطيع الاستغناء عن غذائها الضروري وتتجه إلى شراء وسائل التجميل. والناس لا يكتفون أيضاً بالاستفادة من هذه الوسائل في محيط البيت لأنهم قد صرفوا مقداراً من المال لشرائها لهذا يرغبون بعرضها أمام الآخرين أيضاً، فتصوروا المفاسد التي سوف تترتب على هذا العمل؛ لأنّهم ولأجل أن يعرضوها للآخرين، لابد من رفع الحجاب الذي يمنع رؤيتها؛ لأنّ الحجاب يمنعهم من إظهار زينتهم ليراها الآخرون.

إنّ السبب الأساسي لهذه الأعمال، هو جري منتجي ومالكي وسائل التجميل والملابس والموضات وراء الربح، فهم يعملون جميعاً لأجل مصالحهم المادية، وهم في نفس الوقت عملاء للشركات متعددة الجنسيات وأغنياء العالم الكبار، ولأجل أن يبيعوا منتجاتهم بشكل أكبر لابد أن يروّجوا ثقافة العُري في المجتمع، حتى يتمكنوا من تهيئة سوق لبيع بضائعهم، وإلاّ فهل تحتاج المرأة في زينتها لزوجها إلى هذا المقدار من الوسائل؟ وكم تحتاج من الملابس؟ فالشخص الذي يريد أن يتسكع ويجوب الشوارع من الصبح إلى الليل، هو الذي يحتاج إلى كلّ هذه الأنواع من وسائل التجميل، فأي من هذه الأُمور يصبُّ في مصلحة أصحاب المعامل ومنتجي هذه البضائع؟

إنّ المنتجين لهذه الوسائل مجبورون على ترويج ثقافة العري في المجتمع؛ لكي يحققوا أهدافهم المادية، وفي الواقع أنّ هذه الثقافة ملائمة لميول الإنسان الحيوانية؛ لأنّ هذه الميول حية في الإنسان ولا تحتاج إلى إيقاظها؛ أما القيم

المعنوية فلا تظهر بشكل طبيعي، وتحتاج إلى التربية والتعليم.

إذن إذا وُجد اتجاهان في المجتمع، أحدهما موافق للنزعات الطبيعية الموجودة تلقائياً، والآخر مخالف للنزعات الطبيعية، ويريد أحدهما تعليم القيم للإنسان، ويقنعه بترك رغباته الحيوانية، فأي الاتجاهين سيكون موفقاً أكثر؟ من الواضح أنه الموافق لطبيعة الإنسان، فهو كالذي يتحرك على منحدر، فإذا قام شخص بإجباره على الحركة سيتحرك طبعاً بشكل أسرع لكن الشخص الذي يتحرك بسرعة ثم يريد التوقف عن الحركة فإنه يحتاج إلى عامل أقوى.

وهكذا مَثَلُ الناس في الحياة، فالشخص الذي يتحرك على منحدر إذا كان يزيد من سرعته دائماً، فإنّ حركته ستصبح أسرع إلى حد بحيث لا يمكن إيقافه عن الحركة بعد ذلك. لهذا فإنّ الأشخاص الذين يريدون المحافظة على الناس من الخطر وينقذونهم من خطر السقوط، يوصونهم أولاً أن «انتبهوا» حتى يتحركوا بهدوء فيمكنهم الحذر والتوقف أينما أرادوا، وحتى إنهم يسعون إلى إيجاد الحواجز أمامهم أثناء الحركة، حتى يقللوا من سرعتهم ويتمكنوا في النهاية من إيقافهم باقتدار كامل.

يُعلمنا الأنبياء، أن نكون معتدلين في حياتنا وغرائزنا وأن نتحرك بهدوء وأن نعرف القيود والحدود، فنأكل الغذاء بالمقدار اللازم، ونرتدي الملابس بالشكل المناسب، ويجب أن نكون معتدلين في ميولنا المادية والحيوانية ولا نُفرط في كل ذلك. فالأنبياء يحذروننا من خطر الإفراط في هذه الأُمور، فالأشخاص

الذين يستمعون إلى هذه التوصيات ويعملون بها، هم أهل التقوى، حيث يقومون بنصيحة الأشخاص العاجزين عن السيطرة على أنفسهم ويتبعون الآخرين، بالسعي السيطرة على أنفسهم لأنهم لو لم يتمكنوا من ذلك لأصبحوا مثل الذي يتحرك، وسرعته تزداد باستمرار، فيصل إلى مرحلة لا يتمكن فيها من التوقف.

في هذه المرحلة، يستمع بعض الأشخاص إلى هذه التوصيات والنصائح فيتمكنون من السيطرة على أنفسهم، ولا يهتم البعض الآخر بهذه التوصيات فينتهي به الأمر إلى السقوط، فما الذي يجب عمله لإنقاذ هؤلاء الأشخاص؟ فهنا لابد أن يأتي أُولئك الذين يريدون خير الناس، ويقفون في طريقهم حتى يحولوا دون سقوطهم، وهذه هي نفس مراحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيحذرونهم أوّلاً من ضرر عملهم وعواقبه السيئة باللسان اللطيف والنصيحة، وفي المرحلة التالية يصرخون بهم بشدة أكثر نوعاً ما، أن ينتبهوا لأنفسهم، فإذا لم يؤثر هذا أيضاً عندئذ يجب أن يُكلف بعض الأشخاص وحسب ضوابط مدروسة ومحددة لمجابهة شيوع الفساد في المجتمع، ولابدّ أن يتطوع لهذا الأمر أشخاص خاصون لديهم صلاحية العمل والقدرة والمقاومة الكافية حتى لا يقعوا هم أيضاً في الأخطاء في طريق إنقاذ أُولئك الأشخاص من السقوط.

إنّ الكثير من الأفراد قد سقطوا في فخ الفساد، عندما كانوا يريدون مجابهة شيوع الفساد في المجتمع، لهذا يجب على أُولئك الأشخاص الذين يريدون القيام بهذه الوظيفة المهمة، أن يُعدّوا أنفسهم وأن يكونوا قد تعلّموا كيفية القيام بها وعندهم الصلاحيات الكافية لهذا الأمر.

أما في المراحل الأُولى من هذه الوظيفة المهمة فإنّ الجميع يشترك فيها من الأب والأُم والأُخت والأخ والأصدقاء والمعلم والتلميذ والجيران وغيرهم.

التراجع في الجامعات في فترة ما بعد الثورة:

يطرح هنا هذا السؤال: لماذا كانت الجامعات تسير القهقرى طيلة فترة ما بعد الثورة، ولم تستطع القيام برسالتها؟

والجواب: إنّ البلد كان مشغولاً بالمسائل الداخلية والخارجية الحساسة وكانت الأولوية أن تعبّأ الطاقات لحل هذه المسائل، كالفتن الداخلية التي ظهرت في كردستان وتركمنستان(١) وبعض المناطق الأُخرى والجهود التي بذلت لإخمادها، بعد ذلك استنفذت الحرب المفروضة كل القوى والطاقات المادية والمعنوية للشعب لسنوات عديدة.

إنّ البعض يتصوّر أنّ الحل الوحيد لإصلاح المفاسد الثقافية هو تحسين الوضع الاقتصادي، والواقع أنه وبرغم أهمية المسائل الاقتصادية وما يمكن أن

---

(١) مناطق إيرانية (المترجم).

تقدمه من مساعدة في حل المشكلة، إلاّ أنها ليست الطريق الوحيد ولا يجب المبالغة في تأثيرها؛ لأنّ المسائل والمشاكل الاقتصادية موجودة في كل مكان، ونحن لا نُستثنى من ذلك أيضاً، لكن يمكننا أن نتغلب على هذه المشاكل الاقتصادية بروح التضحية والإيثار التي قد جربناها وتعلمناها طيلة فترة الثورة حتى نتمكن مرة أُخرى من الاهتمام بالمسائل الثقافية، وخاصة في الطبقات المتعلمة التي تتحمل عبء هذه الوظيفة المهمة أكثر من بقية فئات المجتمع.

ضرورة تقوية الحركة الثقافية إلى جانب التوسعة الاقتصادية:

تدخل بعض المنتجات والبضائع بحرية إلى داخل البلاد، ولا يمكن الحيلولة دون دخولها؛ لأنّ مراقبة البضائع يكون أمراً صعباً جداً، عندما تزال القيود الاقتصادية والتجارية. أما إذا تحددت التجارة بشدة كما كان في زمن الحرب، فإنّ مراقبة وملاحظة دخول المنتجات إلى البلاد تكون أمراً سهلاً لكن عندما تكون الحدود مفتوحة والاقتصاد التجاري حرّاً، لا يمكن السيطرة بشكل دقيق على جميع البضائع الداخلة إلى الجمرك وستكون لهذا العمل تبعات كثيرة؛ لأنه يمكن أن تدخل بعض البضائع الأُخرى بشكل غير قانوني مع تلك البضائع الداخلة، حيث إنّ من الصعب مراقبة مئات أو آلاف الأطنان من البضائع الداخلة إلى الميناء، بشكل دقيق. فهذه المشاكل ستظهر بكثرة عند وجود الحرية الاقتصادية.

ولمواجهة هذه المشاكل والمسائل يجب علينا الاعتماد على تقوية روح المقاومة عند الناس، وليس إيجاد القيود والموانع الاقتصادية، فيجب أن يكون المستهلكون واعين، ولا يهتمون بدعايات المنتجين، ويُحرِّمون شراء البضائع التي تدخل بواسطة المستعمرين للقضاء على قيم الثورة وكذلك يتصدّون إلى بائعي هذه البضائع بالنصيحة أوّلاً، ثم تحريم جميع البضائع التي يبيعونها.

فبهذا الشكل نتمكن من مواجهة بائعي هذه البضائع، حتى لا يستطيعوا استغلال موقعهم، فيساعدون في تحقيق أهداف أعداء الإسلام والوصول إلى مقاصدهم الخبيثة، لكن إلى جانب كلِّ خير وبركة توجد خسائر ومتاعب أيضاً، فإننا إذا أردنا إزدهار اقتصادنا والخروج من هذا الاختناق علينا أن نضع بعين الاعتبار مثل هذه الخسائر ونُعدَّ أنفسنا لتحملها ومواجهتها.

من الواضح الآن أنّ مسائل ومشاكل ثقافية كثيرة ستواجهنا في المستقبل القريب نتيجة للتطور التكنولوجي في العالم؛ وكمثال على ذلك الهاتف المصوِّر، الذي سينتشر بعد مدة ويتحول إلى وسيلة عامة، فعندما يتمكن كلا الشخصين المرتبطين هاتفياً من رؤية أحدهما الآخر، تصوروا المصائب التي ستحدث نتيجة هذا العمل، لهذا لابد أن نهيّئ أنفسنا من الآن لمواجهة مثل هذه المشكلة، فيما إذا انتشرت هذه الوسيلة وأصبحت في متناول الجميع، بحيث تكون عندنا روح قوية، فلا نسمح للشخص المتصل أن يرى صور نسائنا إذا لم يكن من المحارم عندما نستفيد من هذه الوسيلة.

فإذا كانت عندنا هذه الروح القوية، نستطيع مواجهة جميع مؤامرات الأعداء الثقافية، لكن عندما تكون روحيتنا ضعيفة، فستنتشر وسائل الفساد أكثر من السابق في المجتمع، فلا يمكن عندئذ مواجهتها. وكذلك ستظهر لنا مشاكل أكثر عندما تفتح علينا المحطات التلفزيونية للدول الأُخرى بواسطة الأقمار الصناعية، فعندئذ لا نستطيع منع أنفسنا من رؤية اللقطات المبتذلة التي تُعرض في هذه المحطات التلفزيونية، وأخيراً ستفتح أمامنا أبواب الفساد كلّ يوم أكثر فأكثر، وبالتطور التكنولوجي تصبح إمكانية الاستغلال الشيطاني لها أكثر.

لهذا يجب أن نمتلك مقاومة أكبر لمواجهة تأثير هذه العوامل والمؤثرات لا أن نخالف دخول البضائع المتطورة، مثل التلفزيون؛ لأنه لا يمكننا أن نضع طوقاً حول البلد ونعزله عن العالم، فجميع العالم اليوم مثل البيت الواحد، فإذا أردنا منع دخول بعض البضائع بشكل قانوني فإنها ستدخل بكمية أكثر بطريق غير قانوني، لهذا يجب أن نهيّئ أنفسنا لمواجهة هذه المؤامرات ولا نقع في فخ الشياطين، ولا يمكن تحقيق هذا العمل إلاّ برفع مستوى الثقافة والمعلومات وتقوية القيم الثورية والإسلامية في المجتمع، وكذلك بواسطة الدعوة العملية والاستدلالية والعمل الشجاع.

فعلى أفراد المجتمع الذين لا يتأثرون بهذه الحيل تطبيق أفكارهم بشكل مستقل واعتماد كامل بالنفس، حتى يقتدي بهم الآخرون أيضاً فيحكمون في المجتمع بشموخ ورفعة؛ لأنّ كل من يمتلك مقاومة أكثر يكون أقوى وأكثر

شموخاً وله روحية أشجع، وعندئذ سيكون النصر حليفه في مواجهة هذه المؤامرات الشيطانية. أما إذا كانت روحيتنا ضعيفة وبمجرد أن يصبح نوع من الملابس أو طريقة تجميل من الموضة، نقلدها جميعاً، فإنّ هذه الحالة الطفولية ستجعلنا مستعدين لقبول كلّ أنواع الفساد لكننا سنوفق في عملنا ومواجهة الفساد إذا كنا منطقيين، فلا نقبل كلّ شيء إلاّ إذا كان مفيداً، فمثلاً إذا أصبح نوع جيد من الملابس، أو عمل حسن نوعاً من الموضة، فلا بأس بالاستفادة منه، أما إذا كانت ملابسنا أفضل وأجمل ومتطابقة أكثر مع قيمنا، فلماذا نتركها إلى نوع آخر لمجرد كونه جديداً؟ لهذا لابد أن نترك هذه الروحية الطفولية وأن نفكر ونتصرف مستقلين حتى يكون النصر حليفنا، ويحذو الآخرون حذونا.

الغزو الثقافي والطرق الدفاعية

قبل توضيح الطرق الدفاعية لمواجهة الغزو الثقافي، من الضروري أن نشير إلى النتائج التي تستنبط من المواضيع السابقة كمقدمات منطقية لطرق العمل حيث يمكن تلخيصها في عدة نقاط مهمة:

١. تعيين النقاط المستهدفة بالهجوم:

استهدف العدوّ في غزوه الثقافي نقطتين مهمتين:

أ. العناصر الثلاثة للثقافة الإسلامية:

إنّ العمل الأساسي الذي يقوم به أعداء الأنبياء في كل مجتمع هو التأثير في العقائد، ثم تغيير القيم في ذلك المجتمع، فيحدث الهجوم الثقافي في كلّ زمان متناسباً مع ظروف ذلك الزمان، لذلك فإنّ الشيء المهمّ هو أن نتعرف على مظاهر الهجوم الثقافي في مجتمعنا والظروف التي نعيشها.

يحدث الغزو الثقافي في ثلاثة محاور:

١. الرؤى والعقائد.

٢. القيم والميول.

٣. التصرفات والأفعال.

إنّ الأجانب وللقضاء على اعتقاداتنا الدينية، مثل الاعتقاد بالله والمعاد والوحي والروح والملائكة، يقولون: «إنّها نوع من الأساطير والخيال فالإنسان

لابدّ أن يكون واقعيّاً واستنتاجياً، وأن يفكر بشكل إثباتي[١] فالاعتقاد بما وراء الطبيعة وغير الحسيات، يعتبر من المثالية، فالإنسان لا يستطيع الحصول على اعتقاد قطعي ويقيني بكل شيء، وكل مَن يمتلك هذه العقيدة، يكون دوغماتياً».

ويقول العالم الغربي اليوم: «الاعتقاد بهذه المواضيع من الخرافات فعليك أن لا تقبل أي شيء لا تراه ولا تحسه، فإذا قبلته أصبحت خيالياً ومثالياً، وحتى لو اعتقدت بشيء فلا تتعصب له؛ لأنّ لكل شخص عقيدته، ولك عقيدتك الخاصة أيضاً، لكن لا تصر على أن قولي حق وقولك باطل، (عيسى في دينه، وموسى في دينه)، فلهذا ليس لك الحق أن تكره الآخرين على قبول الإسلام فحتى عبادة الأصنام هي من العقائد التي يجب احترامها؛ لأنه لا يمكن تحقيق التعايش السلمي في العالم، إذا كان بعض الأفراد يقولون: إنّ العقيدة الفلانية حق، والعقائد الأُخرى باطلة ولابد أن يؤمن جميع الناس بالحق، وإلاّ يصبحوا ضالين ويبتلون بعذاب الآخرة».

لكن لنرَ ماذا يقول القرآن؟ في نظر القرآن أنّ اليقين هو أسمى الصفات الإنسانية والكمال الأخلاقي، فعندما يذكر صفات المهتدين يقول: إنّ عندهم يقيناً: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٢].

---

(١) إقامة البرهان (المترجم).

(٢) البقرة: ٤.

ومقابل ذلك عندما يذكر صفات الضالين الذين سقطوا في وحل الذنوب يقول: إنهم أُصيبوا بالشك والترديد: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾[1]، ويذم الذين عندهم روح التسامح والتساهل في الأُمور الدينية.

وهنا يطرح هذا السؤال: لماذا يخالف الأعداء وجود الاعتقاد الديني المصاحب باليقين؟ لأنهم يعلمون أنّ الاهتمام الجاد بهذه المسائل سيؤدي إلى تغيير شكل حياة الإنسان نحو الأفضل، ومثال على ذلك أنّ المجتمع عندما اهتم بالقيم الدينية بجدية في زمن الحرب، لاحظنا الملاحم التي سطرّها شبابنا في الجبهات وما زال العالم يهتزّ من تلك الملاحم.

فكلامنا هو أننا نمتلك مجموعة من الاعتقادات والقيم السليمة ونريد تبليغها وإثباتها للآخرين، لكنهم يقولون: أوّلاً: لا اعتبار للأدلة العقلية ويجب قبول الأدلة الحسية فقط،

وثانياً: سوف لن تظهر الحقيقة أبداً؛ لأنه لا يمكن منطقياً للإنسان أن يصل إلى أكثر من الشك. وهذا الكلام هو نفس ما يطرحه مخالفو الدين للقضاء على الإيمان في مجال المعرفة.

لقد رأينا أو سمعنا كثيراً عن تأثير القيم الإسلامية واهتمام الناس بها في زمن الحرب، فلقد كان وجود هذه الاعتقادات والقيم الأصيلة في المجتمع مثل

---

(١) النمل: ٦٦.

الاعتقاد بالله والمعاد والنبوة و... السبب الرئيسي الذي دفع شبابنا للذهاب إلى الجبهة والتضحية بأنفسهم في فترة ما بعد الثورة فالالتزام بقيم الإيثار والتضحية والفداء هي التي جلبت لنا كلّ هذه المفاخر في المحافل الدولية.

واليوم، يسعى أعداؤنا إلى إضعاف التزامنا بهذه القيم، ولهذا فإنهم يقولون: «إنّ القيم اعتبارية، فالناس يعتقدون اليوم بشيء، وفي اليوم التالي يعتقدون بشيء آخر، فيكون الاستشهاد والإيثار و... من القيم عند البعض بينما يكون عند البعض الآخر القصر وحبّ المال والرقص والغناء والصناعة والتكنولوجيا من القيم؛ لأنّ تأثير الثقافات هو الذي يؤدي إلى تغيير نظام التقييم، ولقد كان الأمر هكذا على مرّ التاريخ، وسيبقى بهذا الشكل أيضاً في المستقبل. فالقيم غير قابلة للإثبات العقلي، إضافة إلى أنّ الدليل العقلي لا اعتبار له، كما أنّ الأدلة الميتافيزيقية غير مقبولة في مجال القيم؛ لأنّ القيم اعتبارية ولا برهان للأُمور الاعتبارية».

فإذا تم إلقاء هذه الأفكار إلى الناس وأنّ القيم اعتبارية ولا يوجد عندنا «يجب» و«لا يجب» فلن يكون عند الناس الرغبة والميل لتقديم التضحيات والفداء بعد ذلك، فالتمسك بهذه القيم المضادة لمصالح المستعمرين هي التي كانت سبباً لقدرة شعبنا وعدم تمكن كلّ قوى العالم من إخضاعه.

لقد استخدم الاستكبار في مواجهته مع الشعب الإيراني الطرق السياسية والعسكرية والاقتصادية، فقاموا في المواجهة السياسية بتشكيل المجموعات

والتنظيمات الحزبية، وفي المواجهة العسكرية أشعلوا فتيل الحرب المفروضة والفتن الداخلية في البلاد، وقاموا في المجال الاقتصادي أيضاً بمحاصرة بلدنا اقتصادياً، ولم يعطونا البضائع التي اشتريناها، واستولوا على أموالنا وقطع الغيار وبعد أن ذاقوا طعم الهزيمة في كل هذه الطرق، اختاروا أخيراً طريق «المواجهة الثقافية».

لقد كانت إحدى حرابهم التي استخدموها في هذا المجال، ترويج الأفكار المنحرفة الالتقاطية والإلحادية، ولو اقتضت الظروف لأنكروا جميع الاعتقادات والقيم، لكنهم وعندما لم يروَا الظروف مؤاتية لذلك وبعد أن تعرضت مصالحهم للخطر سعوا للقضاء على الاعتقادات والقيم باسم «الدين» و«التحقيقات الجديدة في الإسلام الحديث».

ولم تنحصر مسألة الثورة والقيم الإسلامية بإيران فقط، بل انتقلت إلى سائر الدول الإسلامية وسيستمر هذا الأمر أيضاً، ولهذا يسعى المخالفون اليوم إلى دفن هذه الرؤية الإلهية في مهدها، ويوحون لنا أننا قد أخطأنا فلا وجود للمعرفة اليقينية، ولا وجود لنظام تقييم حقيقي، وهذا هو الهجوم الثقافي: أي تحميل مجموعة من النظريات الفلسفية، وعلم المعرفة ومعرفة الوجود على أنها «المسائل الفلسفية الحديثة».

ويسعى المستعمرون بالإضافة إلى إضعاف الاعتقادات الدينية والقيم إلى تقليل مقدار التزام وتمسك الناس بالأُمور الشرعية: فيظهرون الذنب والحرام

حسناً، ويعبرون عن التقيد بالمسائل الشرعية بـ«الترمّت الديني».

كما يسعى العدوّ أيضاً إلى الاستفادة من الوسائل الدعائية والفنية لتحقيق النصر في هذا المجال، حتى إنهم يقيمون المهرجانات العلمية للتأثير على الأشخاص الذين لا يمتلكون قدرة تحليل علمية، فلهذا تتغير صبغة الأفلام تدريجياً وتطرح مسائل جديدة، مثل العشق والجنس و... بدلاً من مسائل الإيثار والتضحية والفداء و...

وفي المجال العملي، يجبر المهاجمون الثقافيون الناس إلى اتباع أهدافهم فمثلاً يقومون بترويج الموضة للقضاء على هويتهم الوطنية وتبليغ ثقافتهم المبتذلة بدلاً منها، ولهذا بدأت تدخل إلى أسواقنا ملابس مزخرفة بصور الحيوانات والكلمات الأجنبية، فهم يسعون بهذه الوسيلة وبالاستفادة من الناس أنفسهم إلى إشاعة ثقافتهم وخطهم ولغتهم في المجتمع.

بـ. الحوزة والجامعة:

إنّ المراكز الثقافية هي النقطة الأُخرى التي استهدفها هجوم الأعداء الثقافي، والمراكز الثقافية في مجتمعنا هي الحوزة والجامعة.

فقد استهدف العدوّ هذين المركزين المهمين ـ الّذين يعتبران بمنزلة الروح والجسد في مجتمعنا ـ حتى يتمكن من فصل أحدهما عن الآخر، وتحقيق أهدافه العدائية، فقام بتحريك أحدهما على الآخر، حتى يعتقد كل منهما أنه هو

على حق، فلا يجعل أحدهما قيمة للآخر. وللآسف فإنّ بعض الحوزويين والجامعيين يتحركون ـ بإرادتهم أو بغير إرادتهم ـ في هذا الاتجاه، وهذه مقدمة لانتصار الأعداء في هذا الغزو. وقد صدر من البعض كلام يساعد العدو في تحقيق أهدافه، فقد تحدّث البعض ضدّ الحوزة، وجعل الشعب والشباب مقابل رجال الدين فيقول: «إنّ الحوزة ليست مكاناً للتحقيق والسؤال، بل مكان للتقليد فعلماء الإسلام لا يدعون مجالاً للسؤال».

إنّ طرح السؤال لم يكن ممنوعاً أبداً، لكن أسلوب وطريقة بعض الأشخاص في طرح السؤال أو إلقاء الشبهة يكون بشكل بحيث يسلب الإيمان من الأفراد ضعيفي الإيمان، وبمغالطاتهم يجعلون هؤلاء الأفراد ييأسون من الحصول على الجواب الصحيح، مثل أن يقول شخص لبعض الأفراد: يجب أن تجهزوا أنفسكم بمضاد للتسمم، ثم يجلب معه أنبوبة غاز سام ويفتحها أمامهم مبرراً عمله أنه يريد أن يُحفز الجميع على التفكير بتهيئة الأقنعة ضد هذا الغاز السام، ومن الطبيعي أن يموت عدد كبير منهم قبل تهيئة الأقنعة.

إنّ طريق إرغام الناس على التحقيق والسؤال، لا يكون بإلقاء الشبهة في المحيط الذي ليس لأفراده مستوى علميٌّ عالٍ، ثم يقال: «نحن نطرح الشبهات، وأنتم أوجدوا جوابها». فالكثير من شبابنا لا يستطيعون الإجابة على هذه الشبهات، لهذا تبقى الشبهة ثابتة في أذهانهم، فتؤثر عليهم وعلى المجتمع فالمهم ليس إيجاد الشبهة بل إراءة الطريق الصحيح.

لهذا يعتقد بعض رجال الدين أنّ بعض مثقفينا على خطأ؛ لأنّ طريق طرح السؤال والشبهة ليس في إلقاء الشبهة الفلسفية في جمع من طلاب الجامعة في قسم الزراعة أو الطب البيطري و... فهؤلاء الطلاب ليس عملهم الأصلي الدراسات الإسلامية، ولا يعلمون الفقه والأُصول والفلسفة والكلام، ثم بعد طرح الشبهة الفلسفية يقول هؤلاء المثقفون: هذا رأي الحوزة وهذا رأينا.

فيجب أن تطرح الشبهات في المكان المناسب، حيث توجد المئات من الشبهات التي يمكن طرحها حول الفلسفة والكلام والمنطق والفقه والأُصول والتفسير و...، لكن يجب طرح هذه المسائل في الحوزة وليس في الجامعة.

لقد قال البعض: «الحوزات العلمية ليست مكاناً للتحقيق، بل مكان للتقليد» وهذا كلام خاطئ؛ لأنّ أوّل ما يتعلمه الطلبة في الحوزة هو السؤال فماذا يعني قولهم: إنّ الحوزات العلمية مكان للتقليد وليس للتحقيق؟

وقال البعض: «لقد طرحوا بعد الثورة الإسلام الفقاهتي، حتى يغلقوا باب السؤال أمام الناس». أحياناً وبمقتضى الزمان يختصرون الموضوع الذي له معنى واسع ويضعون له اصطلاحاً معيناً، وبعد الثورة عندما أصبحت الحكومة بيد الفقيه، وأصبحت جميع مسائل تشريع القوانين والمجلس وإصدار الأحكام والقضاء بيد الفقيه، وأقيمت الحكومة على أساس فقاهة الإسلام، لذلك طرحوا اصطلاح الإسلام الفقاهتي، وانتشرت اصطلاحات أُخرى أيضاً، مثل ولاية الفقيه والبنك الإسلامي و... وغيرها.

إنّ إلقاء مثل هذا الكلام يوجد خللاً في الاتحاد الحقيقي بين الحوزة والجامعة، فإذا لم نعرف حدود بعضنا ولا نصونها، ولا نعتقد بجهد علمائنا الذين نذروا عمرهم في استخراج المسائل الفلسفية والفقهية والأُصولية والدينية بشكل جامع، ووضعوها تحت اختيار الناس، ثم بعد ذلك نقول: إنّ رجال الدين لا يعلمون شيئاً سوى الفقه والرسالة، أليس هذا ظلماً؟

إنّ العلاقة بين الفقه والرسالة هي عموم وخصوص مطلق: فكل مسألة رسالة فقهية، لكن ليست كل مسألة فقهية في الرسالة. فالفقه واسع جداً وما يتصوره البعض عن الرسالة بأنها كتاب قد وقع في إحدى زوايا البيت وكل من شك في صلاته يرجع إليه، ويرى الفقه العظيم الواسع في الرسالة فقط، هو تصور خاطئ، وإنّ هذا الشخص في ذروة الجهل وقد ظلم العلم والعالِم ظلماً كبيراً.

فيجب على الجامعيّ والحوزويّ أن يعرف كلٌّ منهما حدود ومجال الآخر ويصونها، فالحوزة والجامعة كلتاهما مركزان مهمان ومحترمان في المجتمع كلٌّ في مجاله الخاص.

٢. طريق التغلغل الثقافي للعدو:

إنّ المسلَّم به هو أنّ أعداءنا يريدون مواجهة الإسلام والثورة، فيجب علينا أيضاً أن نفهم الطرق التي يريد العدو التغلغل من خلالها إلى المجتمع، ونحدد

مسؤليتنا في مواجهة هجوم العدو، وحسب ما ذكرناه سابقاً يوجد طريقان لتغلغل العدو، كلاهما يستند إلى أُسس علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع: أحدهما طريق سطحي يؤثر غالباً في عوامّ الناس، ويصل العدو فيه إلى نتيجة في ذلك بسرعة، والآخر طريق جذري وأساسيّ، ويصل فيه العدو إلى النتيجة على المدى البعيد، ويؤثر على أُسس المعرفة وفكر ووعي الناس.

أ. الطرق الجذرية:

لا تستهدف حيل العدو في هذه الطريقة عامة الناس، بل يستهدف العدو أوّلاً الفئة المتعلمة والجامعية، فيسعى عن طريق الجامعة إلى التأثير غير المباشر في الفئة المتعلمة والممتازة للمجتمع، وتدريجياً يسري هذا التأثير بعد ذلك إلى سائر الناس، فعندما يتأثر أُستاذ الجامعة أو الطالب الجامعي المتخرج، بأفكار وعقائد العدو، فإنه سيستفيد في خطبه ومقالاته من تلك الأُصول والأفكار وعندما يتصدّى لعمل معين ويصبح رئيساً أو مديراً لمجموعة معينة فإنّه سيعمل على أساس تلك النظريات المعادية أيضاً.

وهكذا عندما يتصدّى لمنصب تدوين السياسة فإنّه يعمل على أساس تلك النظريات في علم الاجتماع والعلوم السياسية وفلسفة الغرب.

إنّ العدو لا يصل بهذه الطريقة إلى النتيجة بسرعة؛ لأنّ هذه الدروس والأفكار لابد أن تُطرح أوّلاً في الجامعة، فيتأثر بها الطالب الجامعي وترسخ في

ذهنه تدريجياً، ثم تترك أثرها بعد ذلك على عمله وعلى الآخرين، وتستغرق هذه المراحل مدة طويلة إلى أن تأتي بثمارها، مع أننا نعلم أنّ العدو قد بدأ عمله منذ فترة طويلة، وقد وصل الآن إلى نتائج في هذا المجال، وحتى إنه يتنبّأ ببرامجه لخمسين سنة قادمة، لكن وللأسف لا يصدق مثقفونا ـ حتى الآن ـ أنّ محتوى بعض دروس الجامعات، خاصة في فروع العلوم الإنسانية، هو وسيلة وأداة لاستعمارنا واستغلالنا.

ولمواجهة المشاكل الاجتماعية ومعالجتها ـ لكون الابتذال الثقافي ظاهرة اجتماعية وفي الواقع هو معضلة اجتماعية ـ يجب أن نستمدّ العون من العلماء بالآفات الاجتماعية الواقعيين، وليس من أُولئك الذين درسوا علم الآفات الاجتماعية في الجامعات الغربية؛ لأنهم يعملون طبقاً للنظريات الغربية، فهم لا يستمدون العون من القرآن والحديث لمعرفة المجتمع السالم والمريض، بل يشخصون ذلك على أساس قواعد علم الاجتماع الغربي، فهؤلاء التابعون للغرب عند دراستهم للمجتمعات وتصنيف مشاكلها يصفون المجتمع المتدين بالقول: «النفاق هو أوّل خصائص المجتمع المتدين؛ لأنّ الدين قد منع أعمالاً مثل السفور والعلاقات غير المشروعة وشرب الخمر ومشاهدة الأفلام المبتذلة و... فهم لا يستطيعون القيام بهذه الأعمال علناً، لكنهم يقومون بكل هذه الأعمال في الخفاء، وهم حريصون على ذلك أيضاً، إذن خاصية المجتمع المتدين النفاق والازدواجية».

فعالم الاجتماع الغربي لعلاج النفاق في المجتمع، يقول: «اتركوا الناس أحراراً، في الأماكن العامة بأي شكل يرغبون، يسمعون الموسيقى التي يحبون ويستطيعون بحرية في العلن القيام بأي عمل يقومون به في خلوتهم؛ لأنهم كلّما منعتموهم فسوف تنتشر أكثر، ولا تصوروا الموسيقى إلى هذا الحدّ بأنها حرام ومبتذلة، فالموسيقى فن أصيل بقي مظلوماً واتركوا الناس يرقصون ويدبكون[1] بحرية، فإنّ تشدد رجال الدين وتزمّت المتدينين والدوغماتيين هو الذي أدى إلى انهيار المجتمع».

ويقول في علاج السرقة في المجتمع: «السرقة أو أي جريمة أُخرى هي نوع من المرض، لذا يجب التحدّث مع المجرم واللص ونصيحته وأن نعتني بوضعه الاجتماعي بمقدار معين، حتى يمكن معالجته عن هذا الطريق، فإنّ قطع اليد والجلد والقصاص وباقي الحدود والتعزيرات من الأعمال الخشنة التي تؤدي إلى شيوع الفساد في المجتمع».

ويقول أيضاً: «إنّ الإنسان صنيعة الوراثة والبيئة، فالشخص الذي يرتكب الجريمة ليس مقصراً، إنّما المقصّر هو المجتمع؛ لأنّ المجتمع ملوث ولابد من إصلاحه، فبدلاً من أن نقطع يد السارق، علينا أن نصلح النظام الاقتصادي أوّلاً حتى يستفيد جميع الناس من الإمكانيات بمقدار متساوٍ، فلن يلجأ أحد بعد ذلك

---

(١) الدبكات: نوع من الرقص المحلي (المترجم).

إلى السرقة». فهذا هو العلاج الذي يقدمه علماء الاجتماع طبقاً لنظريات علم الاجتماع الغربي.

للإجابة على نظريات المخالفين، لابد من القول:

أوّلاً: لقد أثبتت التجربة أنّ السرقات تحدث بحجم أكبر (بالمليارات) في المناطق المرفهة.

وثانياً: إنّ إصلاح النظام الاقتصادي لبلد ما ليس بالأمر السهل، خاصة في بلد مثل إيران الذي تحمل للتو ثماني سنوات من الحرب. فلقد كان عند الناس في صدر الإسلام مشاكل اقتصادية، لكن وبعد أن نزل قانون «**السارق والسارقة**» على النبيﷺ قام بتنفيذه مباشرة، وكان يقوم بالتخطيط الاقتصادي إلى جانب ذلك أيضاً، وتمكن من تحقيق النجاح أيضاً في هذا المجال في عصره.

ثالثاً: ليس من المعقول لحل ظاهرة اجتماعية البحث عن جذورها فقط بل لابد أيضاً من الاستفادة من الطرق المؤقتة المسكنة، ومن البديهي أنّ المسائل الاجتماعية لا تُحل بالمعالجات السطحية فقط فالمعالجات السطحية، مثل إقامة الحدود والتعزيرات بمثابة قرص مسكن.

ولحل المشاكل الاجتماعية بشكل قطعي، يجب البحث عن علاج جذري وأساسي؛ لأننا إذا استفدنا من الأدوية المؤقتة قد لا نجد المعالجة الجذرية في

ذلك المجال أبداً.

بـ. الطرق الهامشية:

إنّ الأعداء يضعون خططهم لخداع عوام الناس حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم بسرعة، فهم يؤثرون عليهم ثقافياً بالاستفادة من الطرق المختلفة في علم النفس وبرامج محطات الاتصال العامة، خاصة التلفزيون، إلى الدرجة التي يتأثر فيها المخطّطون والمصممون والمنفذون في البلاد بالثقافة الأجنبية، ممّا يؤدي غالباً إلى قيام الناس لا إرادياً بتنفيذ. برامج الأعداء.

وقد نجح الأعداء في طريقتهم هذه، بالشكل الذي مكّنهم حتى من التسلل إلى داخل بعض العوائل المتدينة أيضاً، فاستطاعوا التسلل أيضاً إلى أُولئك الذين كانوا من أهل صلاة الليل والصيام المستحب، وأبناؤهم من المجدين وطلبة العلم، فجعلوهم يقضون أغلب أوقاتهم ليلاً ونهاراً بمشاهدة الأفلام وسماع القصص والرسم والنحت و... بدلاً من العبادة وكسب العلم.

إذن المحطات الدعائية هي أفضل وسيلة لترويج ثقافة الغرب، أعم من الفيلم والقصة والرواية والنحت و... إلى الفن المظلوم والموسيقى الإيرانية القديمة.

فالموسيقى من اللهو، وهي حرام في نظر الشارع المقدس، إيرانية كانت أو غير إيرانية، إذاً «اللهو» حرام، وكل ما يطلق عليه لهوٌ يكون حراماً أيضاً، سواء

الموسيقى والرقص والدبكات أو غير ذلك، محلياً كان أو غير محلي.

لقد أصبحت الثقافة اليوم معادلة للفن، والفن أيضاً يعادل الموسيقى والرقص، فإصلاح الثقافة إذن يعني إحياء الموسيقى والرقص الإيراني.

وللأسف يستدل بعض المسؤولين في البلاد في الوقت الحاضر بهذا الشكل؛ من الأفضل لنا للقيام بإحياء الفنون القديمة، على الرغم مما فيها من إشكال الناحية الفقهية، حتى نتمكن من الحيلولة دون تغلغل الثقافة الغربية! فإذن وحسب منطق هؤلاء المسؤولين، يجب أن نقوم في بلادنا بفتح الكازينوهات والمراقص كتلك الموجودة في الدول الغربية، لترفيه الناس، فلا يسافرون إلى تلك الدول، وبهذا نسيطر على عدم خروج العملات الأجنبية من البلاد؛ لأنّ الناس سيفكرون ـ في غير هذه الصورة ـ بالخروج من البلاد، أو قد يقترح البعض السماح للناس بتناول ماء الشعير الإيراني الأصيل بدلاً من شربهم الخمر!!

فنحن لا يمكننا تشجيع القيام بعمل فاسد لدفع ما هو أفسد، أو الاستفادة من الموسيقى المحلية بدلاً من الموسيقى الغربية؛ لأن هذه القاعدة سوف تستوعب في هذه الحالة المفاسد الأُخرى مثل شرب الخمر!.

إنّ الأشخاص الذين يحللون الأُمور بهذا الشكل، ماذا يقولون عن الأحكام القطعية للإسلام؟ لقد فكروا بجواب لهذا السؤال أيضاً، فهم يفسرون الأحكام القطعية بهذا الشكل: «إنّ الإسلام يُفهم في كلِّ زمان بشكل معين، فأحكام الإسلام الموجودة اليوم، خاصة بالزمان الذي كان الناس فيه متوحشين؛ إذن

لابد أن تُشرع أحكام الإسلام اليوم مطابقة لمقتضيات العصر»!!

٣. عدم ثبات المسائل الثقافية:

إنّ الكثير من الظواهر التي تحدث نتيجة لعامل معين، تظهر بسرعة في المجتمع، وتزول بسهولة أيضاً، فلو افترضنا وقوع زلزلة في منطقة معينة وأنها سببت الكثير من الخسائر والمشاكل، فإنّ الناس سيتعاونون مع بعضهم لحلِّ هذه المشاكل الناتجة من الزلزلة. أو نفترض تعرض المجتمع لأزمة اقتصادية، فيقوم الأفراد الخيرون والمضحّون بحلِّ هذه المشكلة لكن المشاكل الثقافية ليست كذلك، بل إنّ ظهورها يكون مصحوباً بمقدمات كثيرة، وتطوّرها وتغييرها أيضاً معقد جداً ويحتاج إلى تخطيط واسع.

فإذا أردنا تحديد علل وأسباب ما نسميه اليوم بالابتذال الثقافي التعرف على العوامل المسببة له في المجتمع حتى نتمكن من إزالتها فستواجهنا الكثير من المسائل والمشاكل الواسعة جدّاً، بحيث تكون خارجة عن عهدة مجموعة قليلة من الأفراد، حتى إنّ البحث العميق والواسع في هذا المجال لتحديد أسباب إحدى الظواهر الاجتماعية، يؤدي تقريباً إلى يأس الأفراد من الأقدام على ذلك، كما أنّ أخذ المسألة ببساطة يؤدّي أيضاً إلى عدم التوفيق في حلّ المشكلة، لهذا يجب القيام بعمل يتناسب مع حجم هذه المشكلة حتى نتمكن من تحديد أسبابها وأهدافها.

أما في القضايا الاقتصادية، فإنّ حصول أزمة معينة يؤدّي إلى الغلاء والتضخم فيها، وستؤدي إلى تعالي صرخات واعتراض الناس، مما يُجبر الدولة على التخطيط لحلِّ هذه الأزمة بسرعة، لكن الأمر ليس كذلك في القضايا الثقافية، فإنها لا تؤذي أحداً ولا تطلق استغاثة أحد، بل تتخذ مكانها في المجتمع بهدوء دون أن تسبب أي نوع من الحساسية، فتترك آثارها في المجتمع تدريجياً، بحيث إذا حذّرَ شخص منها، لا يؤخذ تحذيره بشكل جدّي، فلماذا لم تؤخذ هذه الأُمور بشكل جدّي، بعد كل هذا التأكيد والتحذير من قبل الولي الفقيه؟ حتى أُولئك الذين يعتقدون بولاية الفقيه ويعتبرون إطاعة الولي الفقيه واجباً عليهم مثل إطاعة الإمام المعصوم «**الراد عليه كالراد علينا وهو على حدّ الشرك بالله**»، فإنهم لا يظهرون أي نوع من الحساسية إلى هذه القضية، وهذا من خصائص القضية الثقافية.

فالأزمات والمسائل الثقافية، لا تُطلق استغاثة الناس ما لم تؤثر في مسائلهم المادية والمعيشية المحسوسة، عندئذ يتعالى صراخ اعتراض الناس، فلا يفكر البعض بحل المشاكل الثقافية إلاّ إذا حصل الانشقاق في العوائل وانهار كيانها، واعتاد الأولاد والبنات على أنواع المفاسد، وحينئذ ليس معلوماً أنهم سيحاولون إيجاد علل وأسباب هذه المسائل، وحتى إذا أرادت الدولة أيضاً أن تخطط لحل المشاكل الثقافية، فإنها تحاول أن تزيد من التأمين الاجتماعي، وتحقيقات العلاج النفسي، ولا يبحثون عن الأسباب الجذرية لهذه المشاكل، وكيف

ظهرت هذه الاضطرابات الاجتماعية والنفسية، ولماذا يصاب شبابنا تبعاً للشباب الغربي بالتشويش والاضطراب؟

من المهم أن نعرف أنّ الاضطراب هو العنصر الأساسي لشخصية الإنسان في المدرسة الوجودية[1]؛ لأنّ الشاب عندما يرى جميع الغربيين يعيشون حالة من الاضطراب في المجتمع، يتصور أنّ إنسانية الإنسان تكمن في وجود الاضطراب، فهم لم يروا الناس في المجتمع الإسلامي وهم يعيشون باطمئنان روحي ومتانة ووقار في ظل تعاليم الإسلام فيبتسمون للحياة ويخدمون الآخرين بنشاط ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2].

---

(١) الوجودية exisentialism: فلسفة معاصرة تؤكد على حرية ومسؤولية الفرد (المترجم).

(٢) الرعد: ٢٨.

الطرق الدفاعية

إنّ ما تمّ عرضه إلى الآن، يبين بوضوح الوظيفة الخطيرة الملقاة على عاتق الشعب والدولة في مواجهة الغزو الثقافي؛ لأنّ للثقافة دوراً أساسياً في صقل هوية الفرد والمجتمع واستمرار الثورة، لهذا لابدّ أن يهتم الشعب والدولة في الدفاع عن الثقافة الإسلامية.

وظيفة الشعب في الدفاع عن الثقافة الإسلامية:

يمكن تقسيم الناس من ناحية العمل في المسائل العلمية والثقافية إلى مجموعتين:

أ. النخبة المثقفة (الحوزويون والجامعيون).

بـ. عامة الناس.

أ. النخبة المثقفة (الحوزويون والجامعيون):

إنّ وظيفة هذه الفئة الخاصة من الشعب، تكون أكثر حساسية بسبب عملهم في المسائل الثقافية؛ لأنهم في الجبهة الأمامية من المواجهة الثقافية هذا من جهة، ومن جهة أُخرى يكونون هدفاً لسهام الهجوم الثقافي للأعداء.

وتوجد وظيفتان أساسيتان لهذه المجموعة:

١. أن يعرف ويصون كل واحد من هذين المركزين الحوزة والجامعة

حدود كل منهما الآخر، وأن يمنعوا الكلام الذي يؤدي إلى إيجاد الخلل في الاتحاد الحقيقي بين الحوزة والجامعة.

٢. يجب على كلا المركزين المذكورين، أن يَعرّفا العناصر الأصلية للثقافة الإسلامية، وفي هذا المجال يجب أن توضع قواعد الفهم الديني على أساس اليقين ومواجهة تغلغل الشك وترويج نزعة الشك.

فإنّ أفضل الطرق لمواجهة الشك ونزعة الشك هو زيادة معرفتنا ومعرفة الآخرين في الاعتقادات والقيم الدينية، حتى نحصل على اليقين المنطقي.

مثلاً نحصل في مجال العقائد على مجموعة من الاعتقادات الصحيحة واليقينية ونعرضها على الآخرين ونقوم بإثباتها لهم (البحوث المرتبطة بعلم الوجود).

ونثبت في مجال القيم الإسلامية وجود مجموعة من القيم الثابتة والدائمة ونثبت أيضاً بالدليل بطلان الكلام الواهي للأشخاص الذين يعتقدون أنّ القيم أُمور اعتبارية محتاجة إلى موجد (فلسفة الأخلاق وفلسفة الحقوق).

وفي مقابل الأشخاص الذين يسعون إلى تقليل درجة تمسك الناس بالأعمال الشرعية: يظهرون الذنب والحرام حسناً، ويطلقون على الالتزام بالمسائل الشرعية «التزمت الديني». نعمل على إرغام هؤلاء الأشخاص وتشجيعهم مع الآخرين على العمل بالمسائل الشرعية.

وقبل كل هذه البحوث، يجب علينا إثبات إمكان المعرفة اليقينية لأُولئك

الأفراد الذين يعتقدون أنّ وجود اليقين يكون مضاداً للقيم ويشيعون الشك والنسبية في المعرفة، ثم نجعل من هذا المجال الضيق غطاءً واقياً من إدراك المعرفة للعقائد الدينية والقيم الإسلامية. (البحوث المرتبطة بعلم المعرفة).

بـ. عامة الناس:

يمكن تلخيص وظائف عامة الناس بما يلي:

١. التعبئة العامة والتعليم الديني:

يستهدف الغزو الثقافي عامة الناس، لهذا يجب أن يشعر الجميع بالمسؤولية، ويأخذون السلاح في استعداد كامل، لكن ما هو السلاح الذي نستخدمه لمواجهة الهجوم الثقافي؟

الجواب: سلاح العلم، إنّ على الجميع الاستعداد والتهيؤ لمواجهة الهجوم الثقافي بالدخول في دورات لتعلم الأُمور الدينية وتسليح أنفسهم بذلك، كما هو الحال في الهجوم العسكري، حيث يدخل الجميع دورة للتعليم العسكري استعداداً لذلك الهجوم، وكذلك عندما ينتشر مرض معين في المجتمع، عندئذ يجب على الجميع التلقيح ضدّ هذا المرض حتى لا يصابوا به، فلا يمكن القول: إننا لسنا مرضى، فلماذا نُلقح ضدّ المرض؟ لأنّ المرض قد شاع بين الناس وسيُصيب الجميع عاجلاً أم آجلاً، كما لا يجب القول: إنه قد مضى من عمرنا ستون أو سبعون سنة، ولن نصبح كافرين بعد ذلك، فقد أصاب الشك أفراداً

بلغوا الثمانين من عمرهم، كما يجب علينا التفكير بشباب هذا البلد وناشئته الذين يشكلون غالبية أفراد الشعب.

٢. إحياء المجالس الدينية:

إنّ الوظيفة العامة للناس هي المشاركة في المواجهة الثقافية، كلٌّ بالمقدار الذي يتمكن منه، فمثلاً يمكن إحياء وإقامة المجالس الدينية باعتبارها أبسط وأوجب عمل في هذا المجال، فهو لا يسقط عن عاتق أي شخص، شيخاً كان أم شاباً، رجلاً أم امرأة، فلماذا نحن في غفلة عن هذا العمل؟ فيجب على الشباب إقامة المجالس الدينية في مستويات مختلفة يطرحون فيها المواضيع بشكل فعال، ويتخذون أُسلوباً للتحقيقات ويتحاورون ويتناظرون فيما بينهم بشكل استدلالي، وأينما واجهتهم مشكلة يذهبوا إلى أقرب عالم لحلها، ويجب علينا أيضاً المشاركة في كل جلسة دينية ترفع مستوى رؤيتنا بالنسبة إلى الإسلام وقيمه ولو قليلاً، أو على الأقل نحافظ على مستوى هذه الرؤية عند الحدّ الذي هي فيه.

فنحن نرى أنّ الاعتقادات والقيم الإسلامية بدأت تضعف وتتنزل كل يوم، وإذا استمر هذا السير التنازلي، فإلى أين ينتهي هذا الأمر؟

وإقامة المجالس الدينية هي أحد طرق مواجهة هذه المشكلة؛ لأنّ هذه المجالس تعمل على تقوية الاعتقادات وتزيد من إيمان الشباب بهذا الطريق.

٣. التعامل الودّي مع الشباب:

يجب على الجميع التعامل الودّي والمناسب مع الشباب والناشئة فيجب إرشادهم بهدوء وبالنصيحة غير المباشرة، ويجب توفير الوسائل اللازمة لترفيههم وراحتهم، خاصة في الجوّ العائلي، حيث يجب أن يكون مريحاً وودياً معهم، ويكون أفراد العائلة رحماء فيما بينهم، حتى يمكن تقليل رغبة هؤلاء الشباب في التسلية بأفلام الفيديو و... ومن ثم إزالتها بشكل كامل.

فالجوّ الحاد والخشن يؤدي إلى إيجاد العصبية في البيت، فيهرب الأبناء من محيط البيت ويلجأون إلى بيت الجيران وأصدقاء السوء وعندئذ لا يتركون درسهم فحسب، بل يتعرضون أيضاً إلى الفساد الأخلاقي. أما إذا كان جو البيت ودّياً وسالماً فسيجذب الأبناء، وسوف يرغبون بالجلوس مع الأب والأُم والأخ والأُخت، ويستأنسون معهم ويجدون ميلاً أقل إلى أعمال الفساد، وحتى لو ظهر عندهم ميل بسيط نحو الذنب فيمكن بالاستدلال والنصيحة تنبيههم إلى ذلك.

وظيفة الدولة في الدفاع عن الثقافة الإسلامية:

إنّ نشر المعنى الحديث والمتطور للقيم يعتبر من أهم وظائف الدولة في المواجهة الثقافية والدفاع عن الثقافة الإسلامية.

في الواقع أنّ نشر القيم المعنوية في المجتمع الإسلامي يحدث بطريقين عامين:

١. طريق البحث والمناظرة والاستدلال.

٢. طريق تهييج الأحاسيس والمشاعر.

فالطريق الأوّل يختص بالمفكرين وعلماء المجتمع الإسلامي فيقومون بالبحث حول كلّ واحدة من القيم بشكل منطقي واستدلالي ويوضحون فوائد إحيائها والأضرار الناتجة من استخدام الطرق المخالفة لها. ثم يصلون بخلاصة منطقية إلى هذه النتيجة، أنه يجب إحياء القيمة الأخلاقية الفلانية أو محاربة الأُسلوب الخاطئ الفلاني، وعلى الرغم من أنّ الدولة أيضاً يمكن أن تلعب دوراً مهماً وأساسياً بالاستفادة من محطات الاتصال العامة، في إراءة هذا الطريق، لكنها لا تتدخل في محتواه.

أما الطريق الثاني فهو الذي تستفيد منه اليوم أجهزة الدعاية الغربية لمواجهة القيم الإسلامية؛ لأنهم أعجز وأضعف من أنّ يتمكنوا من تضعيف القيم الإسلامية أو ترويج عقائدهم المبتذلة، بالمنطق الاستدلالي بل إنّ الأعداء يحققون أهدافهم بالاستفادة من الطرق الدعائية المركّزة لعرض ما عندهم بشكل عملي، يعني الاستفادة من كلّ ما هو مرتبط بالكتابة، أعم من الصحف والكتب والروايات وأمثالها، بحيث يلقنون ذلك بشكل منظم ودقيق إلى القارئ، فيقبله بلا تردد دون أن يشعر به.

وتستخدم هذه الطريقة بشكل أكثر في الأفلام، فهم يختارون وجه بطل الفيلم بشكل يجلب نظر المشاهد نحوه ويصبح مولعاً به، حتى يجد المشاهد

ـ شاء أم أبى ـ ميلاً نحو صفات البطل الظاهرية والباطنية.

إذن يجب أن نستفيد من طرق هجومية مضادة، أعني كما يستفيدون هم من هذه الأساليب لترويج قيمهم نقوم نحن أيضاً بإعداد فنانين أكفاء قادرين على إحياء ونشر قيمنا الإسلامية في الفيلم، والمسرحية والكتاب والرواية القصصية والقصة وسائر الآثار الفنية، وعندهم القدرة على التأثير في الآخرين لا أن نتخذ دائماً موضعاً دفاعياً مقابل العدو أو ندافع عن أنفسنا فقط.

ولابد أن نعلم أنّ الأفلام التي أُنتجت بالوسائل الدعائية الاستعمارية ليست مناسبة لشعبنا؛ لأنها لم تصنع حسب قيمنا الثورية والإسلامية والوطنية، لهذا لابدّ أن نهيّئ أنفسنا لمواجهتها، ويجب أن لا تقتصر طريقة المواجهة على صيانة أنفسنا من الوقوع تحت تأثير مضامين الفيلم العلنية أو المخفية، مثل سلوك الأفراد وطريقة ارتداء الملابس وطريقة التجميل وأمثال ذلك، بل إنّ الطريق الأساسي لمواجهة العدو وقيمه المبتذلة هو عرض قيمنا الإسلامية بالاستفادة من أحدث الوسائل التكنولوجية المتطورة، في قالب أفضل الأفلام والمسرحيات والكتب والروايات القصصية وسائر الآثار الفنية بالاستفادة من الوسائل الفنية والدعائية، حتى نتمكن بهذا الأُسلوب من التأثير على الآخرين.

وفي الختام أسأل الله المنّان أن ينصر شعبنا ودولتنا في هذه المواجهة الثقافية مع شياطين الإنس والجن، ويشمل الجميع بلطف ورعاية بقية الله الأعظم (عجل الله فرجه الشريف).

الفهرس